المشرق

المئة الاولى

لانبعاث الرهبانيَّة اليسوعيَّة

نظر تاريخي للاب لويس رتزفال اليسوعي

في ٧ آب من السنة ١٨١٤ بعث الحبر الاعظم بيوس السابع الرهبانية اليسوعية من قبرها بعد انحجابها في فلك الكنيسة ٤١ عاماً بقوَّة البراءة التي اصدرها البابا اقليمس الرابع عشر مضطرًّا الى ذلك بمؤامرة كل اعداء الدين وانصار الثورة

واعري انَّ من يعتبر حالة هذه الفئة المنتمية الى يسوع وسقوطها بعد الضربات المتتالية التي تكرَّرت عليها من قبل الدول البوربونيَّة المحرَّكة بتواطؤ وزرائها الاشرار المدفوعين بدسائس البدعة الجنسيَّة وفلاسفة ذلك العصر الكذَبة واعضاء الماسونيَّة يأخذهُ الاندهاش لفوز الباطل على الحق وأجال في فكرهِ تلك البلايا والمحن التي ادركت ايوب البارّ مع صلاحهِ وبرارة حياتهِ حتى انَّ يد الرب عينهِ تثاقلت عليهِ فاحق بالدقعاء وافترش لهُ المزابل

كانت رهبانيَّة يسوع قبل رزيَّتها في مقام رفيع من الرقي والازدهار حرَّك في قلوب اعدائها عوامل الحسد والبغض فتناصر الجحيم وحزب الشيطان على الارض لاستئصال شأفة تلك الجمعيَّة التي تصدَّت منذ مئتي سنة بنيَّف لرد غاراتهما وكبح جماحهما فسمح الله ان ينتصرا عليها لزمن قصير ليكون قيامها من قبرها فوزًا جديدًا لابنائها

كان عدد اليسوعيين في العالم قبل الغاء فتنهم ٢٢,٧٨٧ راهباً نصفهم كهنة

والنصف الآخر دارسون يستعدّون للكهنوت او مختصّون بالاعمال اليدويّة وخدمة اخوانهم . وكان هؤلاء الالوف المؤلّفة من الرهبان منقسمين الى ٣٩ اقليماً ينشرون الدين في ٢٢٣ قطرًا من الاقطار الاجنبيّة ويخدمون للوثنيين في ٢٤٩ ديرًا منظّماً و ٦٦٩ كليّة او مدرسة و ٣٣٥ مركزًا و ١٧٦ مدرسةً اكليريكيّة و ٦١ ديرًا ابتدائيًا . فكانت كل هذه المعاهد تقوم باعمال دينيّة شتّى وتؤدّي للعالم المسيحيّ خدماً لا تُحصى لا يقصد اصحابُها بتأديتها غير وجه الله ورفع منار الدين . فعرف العدوّ انهُ بضربهِ تلك الرهبانيّة يضرب الكنيسة في قلبها

وكان الاحبار الرومانيّون لا يزالون يكررون آيات الثناء على غيرة اليسوعيين وفضائلهم حتى الذين لم يصادقوا على خطّتهم في بعض الامور كالبابا بندكتوس الرابع عشر (+١٧٥٨) الذي حكم عليهم لتساهلهم في بعض عادات اهل الصين والهند (سنة ١٧٤٢) لكنّهُ امتدح سلوكهم الصالح واصدر سنة ١٧٤٨ براءة اوّلها « Gloriosæ Dominæ » صرّح فيها بفضل ابناء القديس اغناطيوس وأعلن بأنّهم لم يحيدوا البتّة عن آثار اجدادهم المجيدة

ولمّا قام بعد قليل المركيز دي بمبال وزير ملك البرتغال (سنة ١٧٥٩) والدوق دي شوازول وزير ملك فرنسة (سنة ١٧٦٢) مع تبعتهما وحملوا على رهبانيّة يسوع الحملات المريعة فنفوا ابناءها واستصفوا اموالها ودمّروا معاهدها ورسالاتها بين الامم البربريّة وألّبوا على البابا اقليمس الثالث عشر ليُلغيها الى أبد الدهر تصدّى لهم ذاك الحبر الباسل ودافع عن المظلومين بشهامة ونشر (سنة ١٧٦٥) براءتهُ الخطيرة التي بدؤها « Apostolicum » فأطرأ على سلالة القديس اغناطيوس وبيّن فضلها واثبت رسومها وقوانينها . ولمّا تبوّأ البابا اقليمس الرابع عشر كرسي الخلافة الرسوليّة استأنف اعداء الرهبانيّة اليسوعيّة الغارة عليها فلم يزالوا يواصلون كرّاتهم حتى خاف الحبر الاعظم سوء العاقبة فاجاب الى سؤلهم سنة ١٧٧٣ في براءةٍ افتتحها بالالفاظ « Dominus ac Redemptor » لكنّ هذا البابا نفسهُ أعلن غير مرّة انهُ لا يفعل الّا مرغوماً . فمن ذلك ما قالهُ لسفير ملك اسبانية لدى الكرسيّ الرسولي المدعو فلوريدا بلانكا الذي كان يُغريهِ باليسوعيين ويضايقهُ ليصدر منشور الغائهم لئلّا تهلك كل الرهبانيّات ببقائهم : « اراه اني اشعر منذ زمن مديد بنيّاتكم انكم

تقصدون بالنار الرهبانيَّة اليسوعيَّة ملاشاة كل الجمعيَّات الرهبانيَّة لا بل تريدون دمار الكنيسة الكاثوليكية باجمعها. ولعلَّ الملوك يُبرَّؤون منذ الآن الانفصال عن الكنيسة وتأييد البدع » (١

فكفى بهذه الكلمة تبريرًا لليسوعيين اذ قالها ذاك البابا عينهُ الذي ألفى رهبانيَّتهم حبًّا بالسلام

لكنَّ ذاك السلام الموعود من اعداء الكنيسة ما كان الَّا مقدِّمةَ حربٍ جهنَّميَّة نشبت في كل انحاء اوربَّة ضدَّ الدين عموماً والكنيسة الكاثوليكيَّة خصوصاً كما سبق رئيس اساقفة باريس كرستوف دي بومنت (Christophe de Beaumont) وبيَّنهُ في رسالتهِ الى البابا اقليمس المذكور بعد نشرهِ البراءة الملغية للرهبانيَّة اليسوعيَّة فقال :

« ايها الاب الاقدس انَّ السلام الذي يعدنا بهِ اعداء الدين بالنار جميعًا يسوع ليس هو ذاك السلام الذي اتى بهِ السيد المسيح وانما هو سلامٌ كاذب سلامُ الخبث والمكر والخلاعة وبقيَّة الاهواء الباطلة التي اشار اليها النبي (ارميا ٦ : ١٤) لمَّا وصف سلام الاشرار الصارخين : « سلامٌ سلام وليس سلام » فهذا السلام الذي رذلهُ السيد المسيح هو السلام الذي عارضتهُ جميعًا يسوع وتفانت في مناصبتهِ حتى الموت ولذلك قام عليها كل الاشرار وهذا لعمري المحُ برهان على انَّ تلك الرهبانيَّة كانت أشدَّ فريق العدى وأبطل اعضاد الدين واهتن اركان الكنيسة ودعائمها. فبسقوطها سقوط الكنيسة نحنُ مرَّة »

---

١) وقد رأينا في ايامنا اعداء الدين يكرِّرون هذا الفصل عينهُ في فرنسة في حقِّ الرهبان اليسوعيين. وكذلك اقرَّ مؤرخو البروتستانت في عهد اقليمس الرابع عشر ان وزراء ملوك البوربون يضربهم الرهبانية اليسوعية لم يقصدوا سوى تنكيس مبالم الدين. قال المؤرخ شيل (Schœll : *Histoire des Etats européens*, t. 44, p. 71) : « كان الجنسنيُّون وذوو الحزب المتفلسف تآمروا على تدمير سلطة الاحبار الرومانيين لكنَّهم وجدوا انَّ هذا لا يتمُّ لهم الَّا بكسر شوكة المدافعين عنها اي فرقة الرهبان اليسوعيين. فذلك ما دعاهم الى ان يُصلوا على تلك الرهبانيَّة حربًا عوانًا فهيَّجوا عليهم كل العالم وألَّفوا بنضم في كل القلوب حتى اذا تمكنوا من انفاسهم يستطيعون ان يزحزحوا عن الدين الكاثوليكي وعلى السلطة الملكيَّة » . واوضح منهُ قول المؤرخ البروتستاني رنك (Leop. Ranke : *Hist. de la Papauté*, t. IV, p. 476) : « نشأ في كل دول اوربَّة حزبان : حزب واحد كان يرمي الى محاربة البابوية وتدمير الكنيسة والملوكيَّة وحزب آخر كان يسعى في محافظة النظام القديم وتأييد سلطة الكنيسة العامَّة. فكان اليسوعيون هم الذين يؤلفون خصوصاً هذا الحزب الاخير ولذلك اعتبرهم اهل الثورة والمشاغب كأنصار الكثلكة فجمعوا عليهم كل قوَّتهم لتدميرهم »

وما لبث ان تحقَّق كلام ذاك الاسقف الممدود بين نوابغ عصره . فبعد سنتين مات اقليمس الرابع عشر وآخرُ رئيس عامّ على الرهبانيَّة اليسوعيَّة (سنة ١٧٧٥) فجلس على عرش الخلافة البطرسيَّة بيوس السادس (١٧٧٥—١٨٠٠) فشهد بالعيان تلك الاهوال المفجعة والهرج والمرج والفتن التي استورى زنادَها الزنادقةُ وحلَّ عقالَها انصارُ الكفر فعلم ارباب الدين ما فقدوهُ بالغاء تلك الفئة المعدودة في مقدَّمة جنود الكنيسة . فاخذ الكرادلة والاساقفة وكل رؤساء الدين وبقيَّة المؤمنين يتأسَّفون على ملاشاة جمعيَّة يسوع ويبلغ صوت أسفهم الى مسامع بيوس السادس الذي جعل يفكر في طريقة اعادة الرهبنة الغاة الى حالتها السابقة فجمع لذلك كرادلة البيعة المقدَّسة وطلب رأيهم في سقوط الرهبانيَّة اليسوعيَّة فسمع غير واحد منهم يستحثُّهُ على ردّهم الى مقامهم الاوَّل وكان من جملتهم الكردينال ليونرد انطونلي (L. Antonelli) الذي صار بعد ذلك رفيقاً للبابا بيوس السابع في سجنه في فرنسة فقال للحبر الاعظم :

« انَّ ما فعلهُ سلفُك قد جرى بضغط الملوك على رئيس الكنيسة ومن ثمَّ لا قوَّة لبراءته التي نشرها مرغوماً دون حريَّة كافية . واني اعدُّ الرهبانية اليسوعيَّة غيرَ الغاة فيكفي لقداستك ان تُعلن بالامر ولا اشكُّ انها ستفعل . وايمُ الله انَّ جماعةً رهبانيَّة بقصد اعتاقها كأنهم غايةً واحدة ويتوسَّلون لادراك تلك الغاية بوسائل صالحة قمَّالة كما اعتادتها رهبانيَّة يسوع لأفضلُ جماعة في عصرنا الشرّير ولو عُدمت لاقتضى انشاؤها . ومن المعلوم انَّ ابناء اغناطيوس في القرن السادس عشر خدموا الدين في وجه البدع البروتستانيَّة خدماً لا تزال الكنيسة تشكرهم عليها فكم بالاحرى نحتاج اليها اليوم حيث استشرى الفساد وتفاقم الشرّ في كلّ البلاد . فالكرسي الرسولي هو الآن في امسّ حاجة الى تلك الرهبانية لتقوم في وجه الملحدين وحائر اعداء الدين (١) »

وما كان هذا القول الَّا صدىً لفكر بيُوس السادس الذي كان يقول : « انَّ الغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة انَّما كان سرًّا من الظلم والطغيان وانَّ رغبتهُ الشديدة ان يعيدها الى الحياة (٢) » بل كان صدىً لفكر كلّ من لم تعمهِ الاغراض وسياسة ملوك بوربون . قال البروتستاني وَرْنك المؤرخ (Hist. de la Papauté, IV, 500) : «انَّ

---

١) راجع تاريخ الرهبانيَّة اليسوعيَّة للمؤرخ الفرنسي كرانينوجولي : (Crétineau- Joly)
Hist. de la Cie de Jésus, V, p. 386)

٢) اطلب المجلة الاسبانيَّة Razon y Fé, *Juin* 1914, p. 246

انا. الرهبانيَّة اليسوعيَّة قوَّض اركان العالم الكاثوليكي كلِّه اذ دهمتهُ تلك الضربة اللازبة من كثب دون ان يستعدَّ لملافاتها لأنَّ اليسوعيِّين يهتمُّون بتهذيب الشبيبة في كلِّ البلاد فبهلاكهم اصبحت الناشئة عرضاً لكل المفاسد وتزعزعت دعائم المجتمع الانساني »

ولمَّا أرسل الكردينال باكَا (Pacca) سنة ١٧٨٦ كقاصد رسوليٍّ الى المانية كتب ما تعريبهُ : «منذ انا. اليسوعيين فقدَ الالمانُ اكرامهم القديم لرؤسائهم الروحيين وللكرسيِّ الرسوليِّ لانَّ اليسوعيين كانوا يهذِّبون الاحداث في مدارسهم العديدة فيضمون بذلك حدوداً للكفر ولكن منذ سقوط رهبانيَّتهم انفجر السدّ وطغى طوفان الكفر وانتشرت الجمعيَّات السريَّة والمطبوعات الفاسدة فأصيبت الكنيسة بنكبة عظيمة » وهذا ما دفع الكردينال باكَا الى ان يلحَّ على البابا بيوس السابع لينهض الرهبانية اليسوعيَّة من كبوتها

وما جاهر به ارباب الدين لحظهُ كلُّ مشاهير ذلك العصر فمن ذلك ما كتبهُ البرنس دي لينى (P^ce de Ligne) سنة ١٨٠٨ الى السيِّدة دي شوازي (M^me de Choisy) : « اني لستُ نبيًّا لا في وطني ولا في غيره ومع هذا لا ازال اردِّد منذ تشتُّت شمل الرهبانيَّة اليسوعية انَّ الشرور العظيمة التي نراها في ايَّامنا من نبذ الطاعة للرؤساء ومن روح الخلاعة والفساد ما كانت لتسود فيتهدَّد سيلُها الجُحاف كلَّ ممالك اوربَّة لو بقيت الرهبانيَّة اليسوعيَّة »

ومع رغبة بيوس السادس في احياء طغمة اليسوعيين لم تسمح لهُ الظروف بتحقيق نيَّته للشواغل التي شغلتهُ مدَّة خلافته باستفحال الشرور وتفاقم الفتن فرأى في زمن قليل كلَّ عروش الملوك تتساقط بالتوالي [1] وألوفاً من الابرياء ذهبوا ضحايا الثورة

---

[1] ومن اغرب التُّهم التي كان اعداء الدين يقرِّفون بها اليسوعيين قولهم بانَّهم حاولوا قتل الملوك فمن ثمَّ نسبوا اليهم مكيدة رجل يُدعى دامیان (Damiens) سعى بقتل الملك لويس الخامس عشر في ٥ ك ٢ سنة ١٧٥٧ بحجَّة انَّ هذا الشقي كان قبل سنين طويلة دخل خادماً عند اليسوعيين لمدَّة قصيرة. لكنَّ هذه التهمة قد نفاها عنهم ڤولتير نفسهُ حتى انهُ كتب لصديقه داميلافيل (Damilaville) في ٣ آذار سنة ١٧٦٣ : لا يخفاك اني لم اشفق قطّ على اليسوعيين

على انَّ براءة الغاء الرهبانية اليسوعيَّة لم يُعلَن بها في مملكة روسيَّة بامر الملكة كاترينا الثانية وفي مملكة بروسية بامر فريدريك الثاني الكبير وكلاهما ليس بكاثوليكيّ . واذ كان الاعلان الشرعيّ بالبراءة من شروط الالغاء في كل مكان حصل من ذلك انَّ الرهبنة اليسوعيَّة لم تَمُتْ كلها وبقي فيها رَمَق من الحياة لم تنطفئ شرارتُها . ومن العجب العجاب كيف كاترينا الثانية وابنها بولس الاوَّل بعدها ثمَّ فريدريك الثاني صديق ڤولتير احتفوا باليسوعيين واكرموا مثواهم فحفظوهم على

ولكن لو نسبتُ اليهم جريمة داميان لقامت عليَّ اوربَّة كلها مع داميان نفسهِ في تبرير ساحتهم » — اما وزير البرتغال المركيز دي بمبال فانَّهُ اذ لم يجد شكوى على اليسوعيين واعيان بلادهِ الكاثوليك الذين لم يوافقوه على سياستهِ المرتاء اللادينيَّة عهدَ الى احد الأُمَة بان يُطلق عيارًا ناريًّا على الملك يوسف الثاني فجرحهُ في ٣ ايلول سنة ١٧٥٨ فانتهز تلك الفرصة ليلقي القبض على اعدائهِ فمثَّل بكثيرين منهم واذاق بعضهم امرَّ العذابات وقفى كثيرين وحكم بالسجن المخلَّد على غيرهم واحرق بالنار سنة ١٧٦٩ أمام الشعب الاب غبريل ملاغريدا احد مشاهير عصرهِ الذي كان قضى اربعين سنة بين برابرة اميركة مبشّرًا بتنصيرهم وتهذيبهم . على انَّ هذه المعاملات العنيفة لم تمنع اعداء الرهبانيَّة اليسوعيَّة نفسهم من تذكيرها وتأثيم بمبال مضطهديهم. منهم اثنان من اصحاب ڤولتير لاكوندامين (La Condamine) وموبرتوي (Maupertuis) وكلاهما شهد على براءة اليسوعيين البرتغاليين وتبرّج اعمال بمبال مضطهدهم. وكذلك ڤولتير في تاريخ لويس الخامس عشر (ك ٢٢ ص ٢٥١) نَعَتَ معاملة بمبال للاب ملاغريدا « بضرب من الهذيان وغلاة في الفظاعة » « L'excès du ridicule et de l'absurdité fut joint à l'excès d'horreur »

واقطع من هذا ما صنعهُ الوزيران دي أرندا وشوازول ليوغرا صدر شرل الثالث ملك اسبانية على اليسوعيين قال السياسيّ والمؤرّخ شبل في كتابهِ المذكور (ك ٣٩ ص ١٦٩) : لم يكتفِ الدوق دي شوازول بان طرد اليسوعيين من فرنسة لكنَّهُ اضطهدهم ايضًا في اسبانية فاتَّخذ لذلك وسائل متعدّدة حتَّى بلغ اخيرًا غايتهُ بتهمة شنيعة فانَّهُ زوَّر رسالة باسم رئيسهم العام الاب ركّشي يدَّعي فيها بانَّهُ وقف على اوراق سريَّة تثبت كون الملك شرل ابن زنىً فدسَّت الرسالة بين اوراق رئيس اليسوعيين في مدريد في الليلة التي أقحم دي ارندا شرطهُ على ديرهم لتفتيشه فلمَّا وقف الملك على هذه الرسالة المزوَّرة طرد اليسوعيين كلَّهم من مملكتهِ ». وما اخبر بهِ شبل نقلهُ غيرهُ من مؤرخي البروتستانت كرنك وادام (Adam) وكوكس (Coxe) وسسموندي (Sismondi) وغيرهم. ومن المحقَّق انَّ الملك شرل منذ ذاك الحين حوَّل محبَّتهُ القديمة لليسوعيين الى بغضٍ عميق دون ان يبوح بسرّ تلك الرسالة ليتبيَّن صحَّتها او كذبها

خلاف الممالك الكاثوليكيَّة حتى يوم قيامتهم بامر البابا بيوس السابع فطُردوا من المملكتين. ومما كتبهُ الملك فريدريك منذ سنة ١٧٧٠ لصديقهِ ڤولتير : « ان راهب الڤاتيكان المزعّز (اشارة الى البابا اقليمس الرابع عشر) يسمح لي بان احفظ في مملكتي اليسوعيين المحبوبين لديَّ والمضطهَدين في كلّ العمور. واني سوف احرص في بلادي على هذه البزرة الثمينة لأفكرّم بها يوماً على من يريد استنبات نباتها العزيز ». وبعد الغاء الرهبانيَّة كتب فردريك الى عاملهِ في رومية الخوري كوليتي : « قُل علانيةً لكل من يريد ان يسمع اني لم اجد مطلقاً كهنةً كاليسوعيين جامعين لكلّ الصفات الحسنة » وكتب ڤولتير في ١٨ ت ١ ١٧٧٧ : « اذكر استاذك اليسوعي ومربّيك الاب تورنمين (P. Tournemine) وسائر تلك الرهبنة التي زوّدت فرنسة بمشاهير الرجال واماثل الناس ». وفي رسالة اخرى الى صديقهِ اللحد دالمبرت (d'Alembert) قال : « لا تلبثون عمّا قليل فتعاينون في فرنسة الشرور العديدة الناتجة لكم من طرد اليسوعيين ولا سيما من قبل تهذيب الاحداث ». وما تنبَّأ بهِ فردريك الثاني عاينهُ الكاتب شاتوبريند الشهير فقال : (Chateaubriand *Génie du Christianisme*, IV, 300) انَّ الآداب والعلوم في اوربَّة أُصيبت بالغاء اليسوعيين بضربة لازبة لا يمكن تلافيها. ولا يزال تهذيب الناشئة مخلًّا بفقدهم »

وكما أثنى فريدريك على اليسوعيين وحماهم تحت كنفهِ في بروسية كذلك كاترينا الثانية دافعت عنهم وصرّحت بكتاباتها « ان اليسوعيين يؤدون لرعاياها خدماً لا تُقدَّر بتربية الاحداث وانها تحفظها لتلك الرهبنة تخدم الكنيسة الكاثوليكيَّة التي ليس في العالم اصدق محامين لها من اليسوعيين ». ولم تكتفِ الملكة بذلك بل نالت من البابا بيُوس السادس الرخصة لليسوعيين بان يقبلوا مبتدئين ويختاروا لهم رؤساء عوامّ يدبّرونهم في ممالكها على مقتضى قوانينهم

*

وفي اثناء ذلك قام بعض الكهنة في سويسرة والنمسة وبلجيكة وفرنسة وانشأوا جمعيَّتين اسم الواحدة « آباء الايمان » والاخرى « آباء قلب يسوع » ائتسوا باليسوعيين القدماء وجروا على حسب رسومهم وسعوا بأن ينضمّوا الى اليسوعيين الباقين في روسيَّة. منهم الاب ڤارين (P. Varin) الشهير منشئ راهبات قلب

يسوع مع الطوباوية صوفيا بارات (B^te Sophie Barat) والمفضال الاب دي كاروفيار (de Clorivière) الذي كان اوّل رئيس الرهبانية اليسوعيّة في فرنسة بعد انتعاشها

وفي غضون ذلك عاد الملوك الى فكرتهم بعد السكرة فاخذوا ينظرون الى الرهبانيّة اليسوعيّة بعين الحكمة والعدل منهم فرديناند الرابع ملك نابولي وابن شرل الثالث ملك اسبانية فهذا كان طرد اليسوعيين من ممالكه باغراء وزيره المتفلسف تانوتشي (Tanucci) لكنه عرف غلطهُ بعد موت الوزير (سنة ١٧٨٣) وشعر بما يحلّ بالممالك النابذة لاهل الدين والناكرة لوجود الاله فطلب بالحاح من البابا بيوس السابع ان يسمح لليسوعيين باستئناف اعمالهم المبرورة في بلاده تحت طاعة اليسوعيين الباقين في روسيّة ورئيسهم الاب غروبر (P. Gruber) فلقي طلبهُ حظوى في اعين الحبر الاعظم. فما علم اليسوعيون الباقون هناك بالرخصة الممنوحة حتى توارد ١٧٠ من الرهبان القدماء وطلبوا الانضواء الى جمعيتهم المحبوبة وعيّن الابُ غروبر رئيساً عليهم المكرَّم الجليل الفضل والقداسة الاب يوسف بيانلي. وكان بعض هؤلاء الطالبين لنير الرهبانيّة اللين قد صاروا اساقفة فاستأذنوا من الحبر الاعظم ان يسمح لهم بالتنازل عن كراسيّهم ليعودوا الى حجر امّهم لكنّ البابا بيوس السابع لم يأذن الّا لواحد منهم وهو السيّد اثوغدرو اسقف ڤيرونا. فحدّث ولا حرج بالفرح الذي شمل اهل نابولي لمّا رأوا اليسوعيين عادوا الى مدينتهم. ودونك ما كتبتهُ وقتئذٍ فيهم جريدة معروفة بأفكارها الحرّة اي جرنال الدبا (Journal des Débats) في عددها الصادر في ت ١ سنة ١٨٠٤ :

« هؤلاء اليسوعيون الجُدَد كاخوتهم السابقين لا يخالفونهم البتّة لا في اسمهم ولا في ثوبهم ولا في قانونهم صانعهم انّه كبقايا اسرائيل ليستودعهم النار المقدّسة فيكونون حافظي تقاليد رهبانيّتهم ورروحها المحض ليورثوها من بعدهم لنيرهم من ابناء اغناطيوس ومن ثمّ تبقى السلسلة متواصلة الى منتهاهم دون انقطاع . . . ولا يقولنّ احد انّ الكرسيّ الرسولي بمخالفته براءة اقليمس الرابع عشر شذّ عن خطّته وناقض نفسهُ بنفسهِ. كلّا فانّ تلك البراءة قضت بها ضرورةٌ مشؤومة ضرورةُ الخوف والتهديد فأوجبت على اقليمس ان يلغي فرقةً من العمّالة الشيطين يبلغ عددهم عشرين الفاً وهذه اليوم ضرورةٌ اخرى هي ثمرة الاختبار بعد ما حصل من الرزايا والآفات بنكبة الرهبانية اليسوعية توجب على بيوس السابع ان يتلافى تلك الشرور. واننا لا نشكّ انّ الملوك والامراء عمّا قليل سيدركون صالحهم وخير رعاياهم بوضع حدود

لروح الكفر وفساد الآداب فيتحقّق جميع ذوي العقول الصائبة صحّة ما قالهُ باكون (Bacon) الكبير انهُ ليس في العالم افضل من مدارس اليسوعيين لتهذيب الناشئة »

فكان الرأي العام فضلًا عن رغبة البابا بيوس السابع ومحبّي الكنيسة انهُ لا بُدَّ من احياء الرهبانيَّة اليسوعيَّة في العالم كلهِ . الّا انَّ انواء جديدة ثارت على الكنيسة الرومانيَّة لأنَّ نابوليون الاوَّل لعبتْ في رأسهِ سَوْرة العظمة والكبرياء فظنَّ انهُ يستطيع مناصبة الحبر الاعظم فلمَّا كانت سنة ١٨٠٩ زحفت جيوشه على رومية فضربهُ البابا بيوس السابع بالحرم . فجرى بعد ذلك ما يعرفهُ الجميع اذ اوقف الحبرَ الروماني وقادهُ اسيرًا الى سافونة ثمَّ الى فُنتانبلو مع ما تبع ذلك من قيام الدول الاوربيَّة عليهِ وقَهْرهم لشوكتهِ واضطرارهم لهُ في نيسان سنة ١٨١٤ بان يُخلي صاحَ تقاعُده عن الملك . فرجع رئيس الكنيسة الى عاصمتهِ ظافرًا مكرَّمًا فامكنهُ ان يفكّر في تشييد جراحات الكنيسة . وكان اوَّل ما اراد اجراءهُ نشر رسم الرهبانيَّة اليسوعيَّة فانهُ في مدَّة اعتقالهِ في فُنتانبلو كان تروَّى في هذا الامر واعتبرهُ كحاجة ماسَّة لخير الكنيسة (١ فعقد عليهِ عزمهُ الثابت قال الكردينال پاكا (٢ في كتاب مذكّراتهِ (Mémoires du Cardinal Pacca) : « كان دخول البابا في رومية مظفَّرًا في ٢٤ أيار فما مرَّ على ذلك شهر واحد حتى واجهتُ الحبر الاعظم

١) نشير هنا كثيرًا مما نقولهُ عن مجلَّة التمدُّن الكثوليكي (Civiltà Cattolica, 2 Mai 1914)

٢) ومما يدلّ على انَّ الله وحدهُ دبَّر بعنايتهِ الصمدانيَّة رجوع اليسوعيين ما نعرفهُ من سوابق البابا بيوس السابع فانهُ كان في اوَّل امره راهبًا بندكتيًّا اسمهُ برنباي كياراميتي فلم يعرف من امر اليسوعيين سوى ما كان سمعهُ في حداثتهِ من معلّمي المبتدئين لابناء القديس اغناطيوس فكانوا يلقّنونهُ التعاليم الماكرة لتماليمهم فنشأ على النفور منهم . امَّا الكردينال پاكا الذي نراهُ هنا مدافعًا عن اليسوعيين وطالبًا إحياءهم فكان في شبابه من ابغض الناس لهم وقد اخبر عن نفسهِ أنَّ اعداء الرهبانيَّة اليسوعيَّة كانوا نفخوا في صدرهِ مداهنهم وأقرأوهُ الكتب المفعمة سبًّا وشتمًا في حقهم واقنعوهُ بان ينقل الى الايطاليَّة كتاب الاقليميَّات (les Provinciales) لپسكال وكتاب أرنلد (Arnauld) في آداب اليسوعيين السيِّئة . ثم اردف الكردينال بقولهِ : « من يا تُرى كان يمكنهُ ان يقنعني انَّ اوَّل ما يباشرهُ الراهب البندكتي كياراميتي بعد نجاتهِ من اعداء الكنيسة ان يحيي الرهبانيَّة اليسوعيَّة من قبرها وانني أنا (الكردينال پاكا) ماكون بين يديهِ ساعيًا في هذا العمل فاشهد قيام اليسوعيين كما شهدتُ موتهم بعد ما انقلبت افكاري في صدرهم وعرفت الامور كما هي في حقيقتها »

وذكَّرتُهُ بامر الرهبانيَّة اليسوعيَّة فأجابني على فور: « نعم هذا جُلُّ رغبتي واني أُريد ان يتمَّ الامر في عيد مئتها القديس اغناطيوس القادم في ٣١ تموز » . فكانت المدَّة الباقية اعني شهرًا بنيف قصيرةً جدًّا لتُطرَح المسألة على بساط البحث ويُناقش فيها الكرادلة وتُنشأ البراءة المعيدة للرهبانيَّة حقوقها مع تجهيز الاديرة للرهبان وإعداد لوازم معاشهم . فراجع الكردينال كُنزلفي (C^al Consalvi) الحبرَ الاعظم وطلب اطالة هذه المدَّة القصيرة وكذلك فعلتُ انا لدى قداسته . لكنَّهُ اصرَّ على نيَّته بقوله ان « لا بدَّ من انجاز هذا الامر في الوقت المعيَّن »

ثمَّ استقدم الكرادلة المعروفين بالسُّود وهم الذين كانوا دافعوا معهُ على حقوق الكنيسة وشاطروهُ اوجاع نكبته فتباحث معهم بأمر تلك المهمَّة ووكل الى واحد منهم بتأليف صورة أولى للبراءة النوَّية فقام الكردينال ليتّا (C^al Litta) بهذا العمل وصنَّف براءةً عن لسان الحبر الاعظم « ذكر فيها الظروف المشئومة التي حملت البابا اقليمس الرابع عشر على اصدار براءته في تعطيل الرهبانيَّة اليسوعيَّة مرغوماً بتهديد الملوك ومخدوعاً بمواعيدهم في سلام الكنيسة . ثم افاض الكلام في تذكية جماعة يسوع من كل التُّهم الموجَّهة اليها زورًا وتثبيتها في انعاماتها السابقة »

فهذه الصورة الاولى مع صحَّة منطوقها وُجدت غير مناسبة لكرامة الكرسي الرسولي فعرض الكردينال دي پياترو (di Pietro) صورةً اخرى بسيطة للبراءة النوَّية لكنهُ كان يريد أن تُجرَّد الرهبانيَّة عن بعض الميزات الممنوحة لها من الكرسي الرسولي بعد اثباتها الاوَّل للبابا بولس الثالث سنة ١٥٤٠ . فلم يرضَ قداسة بيوس السابع بهذا الرأي حتى عهد الى الكردينال پاكا بوضع براءة أخرى اشار اليهِ بصورتها ففعل وبعد تحويرها صادَقَ عليها معظم الكرادلة في ٣ آب فعيَّن الحبر الاعظم لإعلانها اليوم ٧ من ذاك الشهر الواقع فيهِ ختام الثمانية ايَّام لعيد القديس اغناطيوس»

وكان بودّنا ان نعرّب هنا تلك البراءة البابويَّة الجميلة التي اوَّلها «Sollicitudo omnium Ecclesiarum» لولا ضيق المجال وقد افتتحها راعي رُعاة كنيسة الله بذكر الاسباب العديدة التي حدَتْ بالكرسي الرسولي الى بعثة الرهبانيَّة . اوَّلها وغائب العالم الكاثوليكي باتفاق الاصوات في رجوع طغمة يسوع مع ما نتج عن إلغائها من الآفات والمضارّ للدين عموماً وللكنيسة الكاثوليكيَّة خصوصاً الى ان قال : « ومن

ثمّ اننا نرانا منذنبين امام الله بجرم ثقيل لو تغاضينا في وسط هذه الاحتياجات الشديدة والاخطار التي تتهدّد العالم المسيحي واهملنا النَّجدات التي تُمدُّنا بها العناية الصمدانيّة ورفضنا استخدام اولئك البحريين المحنكين بالجذافة الذين يبذلون نفوسهم لمساعدة سفينة بطرس اذ تلاطمها الامواج المُزبدة ويساورها تيّار البحار ليغرقها . . . » ثمّ يختم باثبات رسومها الرهبانيّة وقوانينها القديمة ويجعلها تحت حماية الكرسي الرسولي ويؤيد سلطة رئيسها العام الاب تذّاوس بروزوزفسكي (T. Brozozowski) المنتخب على اقاليم روسيّة وبلاد صقليّة ويجعله رئيساً على الرهبانيّة كلّها في كل انحاء العمور

فلمّا كان اليوم الموعود اي في ٧ آب جرت في امّ المدائن حفلةٌ شائقة دقّت بشائرها في كل اطراف العاصمة ونفت من قلوب اهلها ما خالطهم سابقاً من الحزن والكآبة يوم الغاء الرهبانيّة اليسوعيّة . ففي ضحى النهار خرج البابا من بلاط الكويرينال الى كنيسة « يسوع » العظمى الخاصّة للرهبانيّة وهي اذ ذاك مزدانة بابهى حلاها من الانوار والرايات والنقوش . فلمّا بلغ باب الكنيسة استقباله جميع الكرادلة الذين كانوا في رومية مع عدد لا يُحصى من الاساقفة واعيان المدينة في مقدّمتهم ٨٦ شيخاً من الرهبانيّة اليسوعيّة الذين عفى عنهم الموت فسمح لهم ان ينظروا امّهم المحبوبة تمجّدةً بعد بلاياها فينضمّوا اليها شاكرين الله على هذه المنحة الجليلة ان يتقيّدوا ثانيةً بقيودها المرغوبة . وكان بينهم ١٥ شيخاً يربي سنّهم على الثانين سنة وبعضهم ناهزوا على التسعين منهم واحد بلغ ١٢٦ من عمره وهو الاب اليهودي منتالتر (Alb. de Montalto) المولود سنة ١٦٨٩ والمترهّب في ١٢ ايلول ١٧٠٦ كان الروح القدس الهمهُ كسمان الشيخ انهُ لا يذوق الموت قبل رجوع رهبانيّة يسوع الى حياتها

ثمّ باشر الحبر الاعظم بالقداس على المذبح المشيّد فوق قبر القديس اغناطيوس احد مذابح رومية الفريدة بجمالها فرآهُ الجمهور في وقت الذبيحة في حالة من التأثير العظيم عملت في قلوب كلّ الحاضرين . وفي نهاية القداس خرج نائب السيّد المسيح وخليفة هامة الرسل بكل رونق وأبهة الى معبد اخوية الأشراف الكبيرة حيث اجتمع اماثل الناس لسماع البراءة البابويّة . وكانت في جملة الحضور احدى اميرات بوربون

ماري لويزة ابنة اخي شرل الثالث ملك اسبانية اتت هناك مع اولادها الثلاثة كأنها تريد ان تكفّر علانيةً عن اثم ملوك بوربون في حقّ الرهبانيّة اليسوعيّة (١)

ولمّا جلس البابا على عرشه الملوكي اخذ البراءة وناولها السيّد كرستاني فقرأها بصوت جهور كان يقاطعهُ تحيب اولئك الشيوخ اليسوعيين الكرام. وبعد نجازها تقدّم الاب پانيزوني (Panizzoni) اليسوعي المختار لرئاسة دير رومية الكبير وهو احد المعترين الذي كان دخل الرهبانيّة منذ ٧٠ سنة فانطرح عند اقدام الحبر الاعظم وشكرهُ شكرًا حيياً على النعمة الممنوحة لرهبانيّة يسوع فسأله البابا البراءة الرسوليّة. ثم هرول بقيّة الآباء وقبّلوا اقدام قداسته واكثرهم من العجز المستندين الى العصاة او الى كتف بعض الاصدقاء. فكان ابو المؤمنين يخاطب كلًّا منهم بارق الكلام وألطفه

وهكذا انبعثت الرهبانيّة اليسوعيّة من القبر الذي كان اعداؤها زعموا أنّهُ ابديّ. ومما يستحقّ الذكر انّ العالم الكاثوليكي باجمعه (الّا بعض الملحدين) تقبّل بفرح عظيم خبر رجوع ابناء القديس اغناطيوس حتى ملوك البوربون في اسبانية وايطالية الذين اقرّوا بغلطهم بينهم الملك فرديناند السابع ملك اسبانية وابن اخي شرل الثالث. اما ملوك البوربون في فرنسة الذين كانوا تشرّبوا تعاليم فولتير وشيعته فانّهم سكتوا لم يفوهوا بحلو ولا مرّ وكان هذا كافياً. ومنذ اوّل سنة لصدور براءة بيوس السابع تمكّن الاب دي كلوريفيار مع رفقته المدعوّين سابقاً بآباء الايمان ان ينظّم اقليماً فرنسويًّا لرهبانية يسوع

وكان من الواجب هنا أن نروي ما جرى في انحاء العالم بعد قيام الرهبنة من الاعمال التي استأنفتها بوكيف اسرع البطاركة والكرادلة والاساقفة والامراء والشعوب يكاتبون رؤساء الرهبانيّة المستجدّة ويطلبون منهم بالحاح ان يأتوا الى مدنهم ويفتحوا اديرة ومدارس لجمعيّتهم. وكذلك في الرسالات الاجنبيّة طلب كثيرون رجوع

---

(١) وقد زارت كليّتنا في بيروت قبل اربع سنوات اميرة اخرى من سلالة بوربون النابليّة يشهد الجميع لتقواها العظيم. فهذه الاميرة اذ اطّلعت على ما كتبهُ المؤرخ كرتينو جولي عن ظالم اجدادها الملوك للرهبانية اليسوعيّة قضت عدّة ايام تنوح وتبكي لتلك المعاملات الفظيعة التي ألحقوها برُهبان كانوا تفانوا في خدمتهم

اليسوعيين ليستأنفوا اعمالهم الدينيّة والخيريّة السابقة . على انّ رؤساء الرهبانيّة الجديدة لم يستطيعوا ان يجيبوا الى ملتمس الكثيرين. لنا شاهد على ذلك في رسالة سوريّة التي كان بطاركة الشرق واساقفتهُ التسوها من رئيس الرهبانيّة الاكبر في رومية فلم يستطع الرئيس المذكور ان يلبّي دعوتهم الّا سنة ١٨٣٢

وما لا يُنكر انّ ما قرّرهُ الحبر الروماني على الارض قد ايّدهُ السماء بمنّتهِ ورحمتهِ الواسعة . وها هي ذه تلك الرهبانيّة التي لا يزال كل حزب الاشرار قائماً في وجهها ليعرقل مساعيها وينلّ شباتها تجري بنعمة الله في سبيلها مطمئنّة لا تفعل فيها سهام معاديها واكاذيبهم ومطاعنهم المتوالية بل تنمو يوماً بعد يوم فضلاً وعدداً . واليوم قد بلغ عدد رهبانها زهاء ١٧,٠٠٠ تراهم كما في عهد الرهبانيّة الاولى عرضة لمناوأة اعداء الكنيسة لكنّهم مكرّمون من كل النفوس الصالحة وذوي الاستقامة والعدل الذين يشرّفونهم بثقتهم وثقتهم . وما يفوق على كل ذلك فيغمرهم تعزيةً ولاء الكرسي الرسولي واعتبارهُ شركتهم كطليعة جيش الكنيسة ليس لهم شوقاً آخر الّا خدمة الاحبار العظام لدى اوّل اشارة منهم ولنا على ذلك شاهدان جديدان اذ عهد البابا بيوس العاشر المالك سعيدًا الى رهبانيّة يسوع بان تفتتح في عاصمة اليابان كليّة جامعة وفي رومية مكتباً للدروس الكتابيّة مع مدرسة لاحقة به في القدس الشريف فتسارعت الى انجاز مرغوبه

قائمة عمومية للرهبانية اليسوعية

الرهبانيّة اليسوعيّة طائفة كان يبلغ عدد افرادها في غرّة العام الماضي سنة ١٩١٣ ١٦,٧١٥ راهباً . وكلّهم خاضعون لرئيس واحد عامّ يساعدهُ في تدبير الجمعيّة خمسة اشخاص يمثلون خمس ايالات (Assistances) او اعمال الرهبانية المنبثّة في العالم فضلاً عن كاتب عامّ لاسرار الرهبانيّة ووكيل عامّ للماديّات مع عدد من النظّار والكتبة

امّا الايالات الخمس فتُقسَم الى ٢٧ اقليماً . لايالة ايطالية خمسة اقاليم عدد رهبانها ٤٣١١ ولفرنسة اربعة اقاليم عدد رهبانها ٣٠٨١ ولاسبانية خمسة اقاليم عدد رهبانها ١٦١٣ ولايالة جرمانية ستّة اقاليم عدد رهبانها ٣٨٩٧ ولانكلترة مع اميركة سبعة

اقاليم عدد رهبانها ٣٨١٣ . وهؤلاء الرهبان منهم كهنة (٨١٧٨) ومنهم دارسون يُرَشَّحون للكهنوت (٤٤٠٠) ومنهم للاعمال اليدوية والمساعدة (٤١٣٧)

ثم انَّ هذه الايالات والاقاليم يلحق بها اربعون رسالة يبلغ عدد المشتغلين فيها ٣٦١٩ راهباً منها بعض رسالات في اوربة كالبانية واسوج ونروج وجزائر اليونان (عددهم ١٤١ مرسلاً) . ومنها في افريقية كمصر والجزائر والكنغو وزنبيز ومستعمرات الكاب ومدغسكار وجزيرتي موريس وراونيون (عدد المرسلين اليها ٣٧١) . ومنها في آسية في سورية وارمينية والحاء عديدة من الهند واعمال الصين واليابان (عدد المرسلين اليها ١٢٠٤) . ومنها في اميركة الشمالية كقبائل كندا وبلاد ألاسكا والجبال الصخرية وكولورادو ومكسيك الجديدة وهوندوراس وجزائر انتيل والجمائيك (عدد المرسلين اليها ٤١٧) . ومنها في اميركة الجنوبية كجهات البرازيل وكولومبيا وغويانة الانكليزية وخطّ الاستواء وبيرو والشيلي والجمهورية الفضية (عدد المرسلين اليها ١١٤٢) . ومنها اخيراً اوقيانية كجزائر فيليبين وجزائر فلورس وجاوة وكليب والحاء اوسترالية الشرقية والجنوبية (عدد المرسلين اليها ٤١٧)

اما نموّ الرهبنة فقد تمّ على الصورة الآتية . كان اليسوعيّون سنة ١٨١٤ بعد صدور براءة البابا بيوس السابع ٦٠٠ فبلغ عددهم سنة ١٨٣٤ ٢٦٨٤ مع ما كانت عليه اوربة وقتئذٍ من الاضطرابات والهرج والمرج بعد سقوط نابوليون وبسبب النهضة الماسونية في بلاد شتّى . ثم ازداد عددهم حتى بلغ سنة ١٨٥٠ ١٦٠٠ رغماً عما نالهم من الاضطهادات بفعل الثورة في فرنسة والنمسة وايطالية وبمناهضة الكتبة الاشرار كاوجان سو (Eugène Sue) الذي وضع كتابهُ اليهوديّ التائه سنة ١٨٤٥ إقطع دابرهم . ثم اخذ منذ ذاك ينمو عددهم بنظام فبلغوا سنة ١٨٦٠ ٧١٤٤ وسنة ١٨٧٠ ٨٨٤١ وسنة ١٨٨٠ ١٠,٤٩٤ وسنة ١٨٩٠ ١٢,٧٦٨ وسنة ١٩٠٠ ١٥,٠٧٣ وسنة ١٩١٠ ١٦,٢٩٣ . وقد قلنا انَّ عددهم كان في غرَّة سنة ١٩١٣ ١٦,٧١٥ ولا شكّ انهم اليوم بلغوا ١٧,٠٠٠ ام كادوا فلا يزال اذن نموُّهم متواصلاً فصدق فيهم قول الكتاب في أيُّوب بعد ضربته كما صدق فيهم في وقوعها : « وبارك الربّ آخرة أيوب اكثر من أولاهُ » اذ لو بقي معدَّل نموِّهم على ما هو الآن

سوف يبلغون بعد ٣٠ سنة او اقلّ عدد الرهبانية القديمة عند ملاشاتها مع انّهُ كان مرَّ عليها ٢٢٠ سنة

وان سئل السائل: « وهل يا تُرى يوافق فضلُ الرهبانيّة عددَها النامي » تركنا الجواب لمن يرونا في ظهرانيهم نعيش ونشتغل بينهم فانَّ المنصفين فيهم يقدّرون رهبانيّتنا قدرها. وما لا يُنكر ان الطغمة اليسوعيّة وثيقة النظام فهي اليوم كما كانت في عهد منشئها ولذلك لم تحتج قط الى اصلاح[1] وكذلك يلوح من ثقة الشعوب والاكليروس الكاثوليكي وبالاخصّ خلفاء هامة الرسل بأن ابناء القديس اغناطيوس المحدثين لم يحيدوا عن خطّة اجدادهم

هذا وفي ختام مقالتنا نستسيح عذرًا من قرّائنا لكتابتنا هذا الفصل الثاني عن رهبانيتنا على غير مألوف عادة هذه المجلّة التي لا تحبّ ذكر اليسوعيين الّا اذا اضطرّت الى تفنيد اكاذيب اعدائهم وردّ السهام عن رهبانيتهم ومن أحبّ أمّهُ ما ظلم. لكنّ مناسبة اليوبيل المئوي لم تسمح لنا هذه المرّة بالسكوت عمّا نال هذه الطغمة من المحن وعن خروجها ظافرةً بعد غارات اعدائها عليها ولا سيّما انّ بعض الملحدين في بلاد الشرق اخذوا ينقلون التُهَم التي يشينُها امثالُهم في حقّنا في الغرب فيذكّروننا ببراءة البابا اقليمس الرابع عشر كأنها هي وحدها الصادقة بازاء مئتي براءة أُخرى اصدرها الكرسي الرسولي في استحسان اعمالنا

ونسأل الله ان تدخل رهبانيّة يسوع في المئة الثانية بعد قيامها بنشاط جديد فيسكب الربّ على كل ابنائها انزر بركاته ويكلأهم بيمينه القديرة ويصونهم من كل ضلال وفتور في حمى كنيسة الله ليحقّقوا امانيّ نوّاب المسيح ويقوموا بلا ملال بالواجبات المترتّبة عليهم لمجد الله الاعظم وخير النفوس

---

١) قال احد البروتستانت المنشقين الى الانكليكان من حزب پوزاي (Pusey) في تاريخ القديسين الانكليز (Puseystes: *Life of the English Saints*, VI, 120): « ممّا لا ينكرهُ احد انّ الرهبانيّات بعد ظهورها وحرارتها الاولى تقاعست وفترت حتى احتاجت الى مصلحين يصلحونها. لكنّنا نستثني دائمًا على موجب الحق رهبانيّة القديس اغناطيوس الجليلة الشهيرة التي بعد كنيسة الله المنظورة يمكننا ان نُعد كأعظم معجزة في العالم » نقلنا هذه الشهادة تاركين تبعة القول على صاحبها البروتستاني

منتخبات من شعراء العصر في شرقيّ الاردن

لحضرة الخوري بولس سلمان

هذه امثلةٌ من قصائد الشعراء الذين سبق لنا وصفهم في مقالتنا عن الشعر العصريّ في شرقيّ الاردن ونقلناها عنهم او عن رواتهم وذيّلناها ببعض الحواشي لشرح الفاظهم الترببة واصطلاحاتهم اللغويّة

قصيدة لابي الكبابر في مدح عودة ابي نابر من عرب الحويطات

لمّا دارت الحرب بين عرب الحويطات وعرب الصخور سنة ١٩٠٩ وقف شراريٌّ يدعى ابا الكبابر على راس جبل مرتفع وتهدّد بانظاره المتحاربين ووصف المعركة والابطال المشهورين. وقد نال الغلبة عرب الحويطات مع شيخهم ابي نابر. وقُتل من الصخور اكثر من ٧٠٠ محارب

أبدي بذكر ألّي على الكلّ بادي ... ربّ الملا والي جميع البوادي
يا ربّ لا تجعل عليّ نكادِ ... وعليك تهوين الامور الصعباتْ (١
يا رب يا والي جميع الرعيّةْ ... يا مُدْعي الدنيا سماحْ وفضيّةْ (٢
يا رب لا تكتب عليّ خطيّةْ ... يا غافر الذنوب وكلّ الكبيراتْ
ثُم يا عليّ نُشْرف على كلّ طايلْ ... شدّيت عَوْصا تقطع الدوّ حايلْ
فوقها غلام ما جنى بالفعايلْ ... متعودٍ قطع الفجوج الخليّاتْ (٣

---

١) اعني استهلّ كلامي باللهِ الذي هو الاول في كل شيْ رب البشر وسيّد كل الدنيا ولا سيما القفار التي هي مسكن الاعراب. النكاد هو الحزن

٢) يا رب يا سيد كل الرعية يا من بكلمة واحدة انشأتَ العالم ارضًا سهلةً وفضاء

٣) ان العرب في حروبهم يرسلون مراقبين على منازل الاعداء يسمّونهم طليعة فانّ عليًّا المذكور هنا هو كبير الطليعة. يقول الشاعر: قوموا نُشْرف على راس جبل مرتفع لنرى مواقع الاعداء. ثم يدع الشاعر ذكر الطليعة ويصف بطل الطليعة وهو عليّ وكأني به يكلّمه في شعره. العَوصا هي الفرس. الحايل هي التي لا تلد من الخيل وتكون قوية. قطع الدوّ اي قطع البراري. يقول: يا بطل الحويطات يا علي انك وضعتَ على هذه الفرس القوية التي تقطع البرية سرجَها وشددتهُ شدًّا متينًا. وكان على تلك الفرس عليّ وهو غلام ما اخطأ ابدًا في ساحة الحرب وهو معتاد على قطع الارض المخيفة التي لا ساكن فيها

فوقها تجاوزْ بالعجَل يا شفاتي عمَّك لحوق الركايبْ تُوَاتي
من دونهم حيْذُور واصحَ تَباتي والخرْهل الصفحة صفوفٍ مُحيلاتْ (١
واجلس عليها صفْرة الصبح مِن هانْ تَهُبْ كما خنّاق . بجنحانْ
قبل المسا تُرْسَل تقرَّب من مَعانْ على الجفر تَلقى بيُوتٍ مَبنيّاتْ (٢
تلقى بيوتٍ بنَوالي نَزِيلَهْ تَافي حميلَ دِلالِهم عن نَفيلَهْ
ألبنّ بالحيْوانْ تَسْمع صَهيلَهْ عزّام لرجوه المسايير زافاتْ (٣
تلقى شيبٍ عندهم مُستَعِدّ الحرّ ألي بالملازمْ يَسُدّ
عنهُ تجوض الخيل يوم يَهُدّ عن حرب ابو تايه ألي له الفعل عاداتْ (٤
عساك طيّبْ يا حامي الركايبْ يا الله يفكك من عسير المصايبْ
يا الله يُحيي شيبتك وكلّ شايبْ وشيبَ كلّ كريم راعي طَوْلاتْ (٥

١) سِرْ عاجلًا يا بطل الحرب فوق تلك الفرس لانك تصلح لركب الخيل وأياك ان تبيت في محلّ قبل ان تصل الى مواقع الحرب واذا وصلت فادخل بين الحويطات اهل الصفحة وكن من صفوفهم الكثيرة

تباتي اصلها تبيتْ من بات يبيتْ على ان الشاعر كسر اواخرها للقافية . ولا بدّ ان تنبّه القراء الكرام ان العرب لا يراعون قواعد الاعراب . فسان اواخر الكلمات عندهم هي اما ساكنة واما مكسورة

٢) اركب على فرسك عند طلوع الفجر وسافرْ من هنا فهي تطير بك كما يطير الطير بجناحيه وقبل الليل تقترب من معان فهناك في ارض الجفر تجد بيوتاً مبنية — كان الحويطات نازلين في الجفر وهي بلاد قريبة من العراق وبيوتهم الشعرية ممتدّة في السهول

٣) واذا وصلتَ تجد بيوتاً مبنية على رأس التلال وارباعا غير خائفين على انفسهم من اعدائهم . تجد اناساً من اهل الكرم قد رموا ما بقي في اباريق القهوة . نفيلة هي محل النار عند العرب ويقول رموا القهوة العتيقة ليقدموا لضيوفهم قهوة جديدة

هناك في تلك الخيم تسمع صوت البنّ وهو يُدَقّ في الهاون . ويدعون القهوة بالمهباج واذا سمع المسافرون صوت المهباج يتراكضون جماعات جماعات الى خيمة عزّام اي يدعو المسافرين الى شرب القهوة

٤) تجد شيخاً مستعدّاً لملاقاة الضيوف . وهو فارس ايام الحروب واذا نزل في ميدان الوغى تنهزم عنهُ الخيل خوفاً ورعدةً . وهذا البطل هو ابو تايه امير الحويطات

٥) واذا وصلتَ سلّم على شيخ الحويطات وقل : هل انت مسرور يا حامي الخيل . طَوْلات هي الامور العالية الشريفة اي صاحب المعالي

من بعد فنجان من البنّ والكَيْف ثُوروا عليهم يا لَيال الشَّاغيف
تأمُّ اخو عَلْيا الفهد مُكرم الجَيْف يَفرح إنْ يجنّ الركايبْ مَغيرات (١
الصايحْ .الذعور بالفهد يُنادي يلتحي بكم يا مُرويين الهَادِ
فَزّعُوا الشّامي عَبَاتِ الأعادي بيماني من دقّة الروم غضبات (٢
لَجج الطَّلب من فوق سردِ السّلايلْ سقّم الحريب ويُذعروا كل عايلْ
امينْ مَن قرنُها على المتن مايلْ جلّابة لقصر الارواح العَزيزات (٣
صار الصياحْ وشبّت بالقلبْ نارا الطرشْ جاضْ وشهدنْ العذارى
ذاب الرجال والقلبْ حارا النفس للانسان كنوزٍ ثمينات (٤
صاحوا وصحنا وتنبّه كل من صاحْ كانُوا عزرائيل قضّابْ الارواحْ
صُبح من اول لجة الخيل كِنْ طاحْ الموتْ حلّ وما بقي بهِ مُعافاة (٥

---

١) الكَيْف هو الانبساط والسرور. من بعد فنجان القهوة اهجموا على الاعداء ايها الابطال. الليال ع الابناء. وفي الحرب تجدون امير الحويطات فهو يفرح للخيل الثائرة في الحرب. تَلَثُم من ألثغى يُلثغ اصلها تُلْثُغون

٢) العرب كثيراً ما يسمون انفسهم باخي فلانة وهذا ما يسمى عندهم بالانتحاء. انتحى اي سمى اخته حتى يتشجع فيقولون: انا اخو عليا او انا اخو شمّا الى اخره

وكان المذعور من المحاربين يدعو عودة البطل المعروف. ويدعو اسم الحويطات الذين يروون السيف من دم الاعداء. حينئذٍ هجم الابطال على بنات الاعادي وفي يدهم سيوف لامعة — ان العذارى البتولات يخرجن مع المتحاربين يرنّمن ترانيم الحروب فيطرب المحاربون لأنغامهنّ ويهجمون على الاعداء دون خوف

٣) لَجَج بمعنى لحق لان العرب يبدّلون القاف بالجيم فيقولون بجمة اي بقمة. سرد السلايل هي الخيل الثائرة. سقم الحريب اي الخيل الثائرة للحرب اي لمّا هجم الاعداء على البنات هجم المتحاربون ليدافعوا عنهن. وتقول العرب فعل هذا لعين قلانة اي اكراماً لها. وبنات العرب يرخينَ شعرهنّ المجدول على صدورهنّ ولا على ظهورهن. جلّابة اي تجلب الابطال لأن يفدوا نفسهم عنها

٤) صارت القلوب كالنار وأخذ الطرش هو قطيع الغنم والنياق

٥) صاح عرب الصخور وصاح عرب الحويطات وتشجّع كل من صاح وكأنّ عزرائيل قد حضر في تلك الساعة. قَضّبَ بمعنى قَبَضَ. صبح هو احد عرب الحويطات نزل في الحرب من اول حركة الخيل وقتل وما عفي عنهُ

صاحوا وصحنا وتنبّه ذكر عَوْدَهْ روّح كسيل قوي مَدْوَدَهْ
اكمْ قرمْ من هوانُهْ يقْوَدَهْ قبل الضحى يبقى على القبر فوّاتْ (١
عودة هو وعُطَيْش النكلْ قصّابْ حيّا الاثنين ألي مثل ابوزيد وذيابْ
يَروا ذُباب السيف قطّاع الرقابْ الدمْ يَدعج والركايب مُبيخاتْ (٢
عَنْ عيد عيّد بهذاك النهارَهْ السربة الحرشاء استقاصُمْ مَرارَهْ
يطلب بثار صُبَيح من الشرارَهْ الموتْ حاضر . والمنايا قريباتْ (٣
لا يا شرارة لا تَهوجوا علَينا ولا تقولوا انكم حين وقفتم أقفَينا
سدّادنا بصاع العزيزي خذينا الصاعْ جايرْ والجلايبْ رخيّاتْ (٤
عُبطانْ عَنْ هرج الحضور ألي عدُون يَاوي يِركّن الخيل والسيف مساولْ
صابرْ عليكم فوق الركب مثل الطاعون يخافْ من هَرجْ القفا بالنُصّوتْ (٥
سالمْ نهار الريب مثل الزناتي شرّه على المُلبّس هُوَايتُه تُواتي
يَرْدُها لعيونْ تَرِفْ البناتِ لَنْ أقفَنْ بسَرْدِ المهارْ الاصيلاتْ (٦

١) ولما صاح عرب الحويطات مرّ في نفوسهم ذكر بطلهم عودة ثم نزل عودة المذكور في الحرب كسيل عرمرم كان اذا ضرب بطلًا بسيفه يقاد ذاك البطل الى القبر ولا يصبح لهُ صباح
٢) عطيش هو فارس من الحويطات – القصّاب هو اللحّام – ابو زيد وذياب هما فارسان في قصص بني هلال . ذُباب السيف هو حدّه . دعج الدم: اذا أُهرق – الركايب هي الثياق
٣) عيد هو بطل من الحويطات . اي لا تخبر عن عيد الفارس الشجاع فقد عيّد بذاك النهار . السربة الحرشا هم الصخور وهو لقب لهم . صُبَيح هو فارس من الحويطات قُتل في تلك المعركة . الشرارة هم عرب يُدعون ايضًا الشرارات حاربوا مع الصخور
٤) هرج على فلان حكى عليهِ وذمّه – لا تقولوا اننا هربنا حينما وقفتم انتم للحرب – سداد هو ما يدفعه المدينون لدائنه . الصاع العزيزي هو اكبر من الصاع الجاري بنصف والصاع الجاري رطلان والصاع العزيزي ثلاثة ارطال . الصاع الجابر هو الفائض . الجلايب اي سَلَب الحرب . رخيات اي وافرة
٥) عُبطان فارس من الحويطات اي بحسب كلام الحضور الذين اخبروا كان عبطان يضرب بطن الخيل برجليه وسيفه مسلول وكان يضرب رقاب الاعداء فيتساقطون كما تموت الناس من الطاعون لانهُ كان يخاف من ذمّ الناس ايام المجالس والمحافل
٦) سالم فارس من الحويطات . نهار الريب اي يوم الضيق . الزناتي هو فارس في روايات بني هلال . المُلبّس هو اللابس الدرع – تواتي اي تصيب المقتل . وكان يضرب اكراماً للبنات الاعرابيات الجميلات . يقول العرب : فعلتُ كذا لعين فلانة اي اكراماً لها . حتى اذا عادت هذه البنات تتنيّنَ مدحاً لهُ واجلالًا من الاغاني المطربة فيذكرن الخيل الاصيلة التي اخذها في الحرب

وشفتي لو حضر سالم بالساعة ... على الاعادي أَلي ما تشوف الشفاعة
حيًا الفلام أَلي يجيب القلاعة ... من دَنْدف البارود والرَّكب زافاتْ (١)
يا سالم يا بِنْ ذياب رَبعك حرارة ... صحَّابة المظهور بكل غارة
حيًا للعُلام أَلي ما بهم الخسارة ... لكَدهُم دُرُوز ما يعرفوا الذلّاتْ (٢)
غزّوا الزَّعل بَيْضا على راس طايلْ ... أَلي حاكم يوم قَطْع الاحايلْ
جَمَّف بكم مثل جَمْف الحلايلْ ... الوت حاضر والمنايا قريباتْ (٣)
لو طبُّوا الجازي جزّوا لهم عني ... وقُلوبنا يعشَب القنا تَرهجني
السربةُ الكرما لَفَت تُغني ... من فوق طلقاتْ القوايم حُوَيْطاتْ (٤)
جازي جذَب خيل كثير حذاها ... السربةُ الحرشا قليل وجاها
كم ساجر بالسيف قصَّر خُطاها ... يروي رطيبَ الزانْ والخيل عجيلاتْ (٥)
الارشف ثناهُم عن وضح مفاتيرْ ... يسقم الحريبَ ومنوةً للخطاطيرْ
يروي عليهم كما يروي الزمهريرْ ... إنّ زَعْرطنْ زرق الوشام المليحاتْ (٦)

١) وكنتُ اتمنى حضور سالم في تلك الساعة الرهيبة وهجومه على الاعادي الذين لا يستحقون العفو والصفح . واذا به قد هجم عليهم راقي بالقلاعة خافقاً ما بين الرصاص والشظايا العديدة . القلاعة هي القرس التي تؤخذ بعد ان يُقتل صاحبها

٢) اي جماعتك احرار يدافعون عن الخائف في الحروب . حيّاهم الله اولئك الابطال الذين هم كالدروز لا يحتملون المذلة

٣) غزّ الزعل اي رفع الراية وهي علامة الغلبة عند العرب . بَيْضا اي من ذبيح ابيض . على رأس طال اي على قمة جبل مرتفع . قطع الاحايل اي ذبح الخيل الاصيلة . جمّف اي ذبح . الحلايل هي الغنم

٤) الجازي هم فرقة من الحويطات . لمّا نزل الجازي في المعركة — جزاهم الله خيرًا — ثلجت صدورنا من الفرح بعد الضيق والحزن . نزلوا الى الحرب وهم يغنّون ممتطين خيلًا سريعة الركض

٥) ونال الجازي خيلًا كثيرة بعد الحرب وإنّ الصغور قلم ينالوا الّا القليل . وعرب الحويطات قد قطعوا قوايم الخيل بالسيوف الباترة ورووا رطيب الزان من دم الخيل . الزان هي الرماح

٦) الارشف هو فارس من الحويطات . فهذا الفارس ردّ الاعداء عن اخذ النياق البيضاء . وهذا البطل هو في الحرب فارس شجاع مقدام وفي الضيافة كريم يتسابق المسافرون لانهُ يكرم مثواهم ويقدم لهم الاكرام الواجب لهم . الزمهرير هو الريح الشديدة . اي كان

الهُشُن جانا مجموع كثيرة مثل العساكر يوم دَرْهم وَزيرَهْ
عُقب الضُحى يُطلق عليهم المغيرة يُدوّر بديار الاجانيب غاراتْ (١
بعزّي لن صاحوا عليهم العبيد عيال يروون من القلب الجريد
جُخَيْدم أَلي للملابيس يصيد صيّاحْ زيزوم الخيول الكثيراتْ (٢

قصيدة مدحية لسالم المرعي من الجازات

هذه القصيدة مدح لبني صخر وشيوخهم قالها سالم المرعي حين التقى الصخور والسردية فحاربا وظفر الصخور وقُتيل شاب الكنح شيخ السردية . والسردية فرقة من الصخور يسكنون في حوران على اثر اعداء لبني صخر

أبدي بذكر ألي على الناس حنّانْ خلّاق حيًا وميتًا والعفايا (٣
يسر يا قلم بكاغد الجبر عجلانْ بالصدج لا تكتب على مُشتهايا (٤
حرّ شهر من مُشاريج حورانْ يدورون الغزوات ذيب الشلايا (٥
ذيب عدا ودُّوا على مثل ما كانْ القرمْ اخو ذيبة عقيد السرايا (٦

يهجم على الاعداء بشدّة عظيمة حينما كانت البنات تغني تشجيعاً للمحاربين . زغرط (ويقول أهل سورية زلغط) اي ترغت المرأة ترنيماً معروفاً وهو يستعمل اوقات الافراح والمسرّات كالاعراس وغيرها

١) الهُشُن فرقة من الحويطات . دَرْهم اي سار ومشى . اطلقت المغيرة اي أُطلق الخيل في الحرب . اي بعد ان حاربوا ممّا ذهبوا ينقضون على النهب في ديار الاجانب

٢) وافتخر بالعبيد الذين صاحوا على الصخور فهؤلاء العبيد كانوا يروون جريدهم من دماء القلوب . جخيدم هو عبد من عبيد امراء الحويطات — الملابيس هم الذين يلبسون الزرد ايام الحروب . وصيّاح هو ايضاً من عبيد الحويطات . زيزوم اي بطل

٣) حنّان حنون . العنايا هي الاشياء الماضية والناس الذين ماتوا واصبحت عظامهم بالية

٤) صدج اي صدق . فان بعض العرب يلفظون القاف جيماً . فيقول صدج عوض صدق . ومشاريج عوض مشاريق

٥) الحرّ هو الصقر على بسيط متنبأ . ان السردية ظهروا من مشاريق حوران واتوا نحو الجنوب ليغزوا بني صخر . ذيب الشلايا . كالذئاب للغنم

٦) هجم كالذئب يريد ان يملك الاراضي التي اخذتها منهُ الصخور وطردتهُ منها الى حوران . عقيد هو القائد للغزو

زلّ القلم وأزهى لهم كلّ شيطانْ حالت على هيل البيوت التقايا (١
سبحان دوّار الفلوك سُبحانْ سبحانْ من سبّب لهم بالمنايا (٢
التُوه من مشى به خسرانْ نصبتم وُلدَ المُدح راعي العنايا (٣
قالون نزل الشيخ نيّة عظيمانْ طلال زين مظلّلات الخنايا (٤
طلالْ جاه من السلاطين نيشانْ الله أعطاه ولا يمنّ العطايا (٥
طلّ الرحيب وقال مُتعب بمكانْ واخوات ذيبة مُعطيين الهوايا (٦
صار الصياح ولابط الخيل فرسانْ وقاموا على شعث النواعي شفايا (٧
الكلّ منهم قلبهُ من الحزن ملآنْ ثار الزبيق من كفوف الحبايا (٨
متعب وقع بلعب الخيل ميدانْ ذبّاح للخطّار حيل غذايا (٩
راعي النويقة راح والقلب دَميانْ من كف قرم ما يهاب الخطايا (١٠
الي وشّع الخيل هايل وذوقانْ مثقالْ شوق مُجليات الثنايا (١١
يا طير يالي بالسما إنْ كُنتْ جيعانْ ذُعار يرمي لك جزيل الثّوايا (١٢

---

١) طغام الشيطان. وهجموا على بني صخر اهل البيوت التقية

٢) سبحان الذي دوّار الافلاك. فقد قرّب منيّتهم

٣) من مشى بالتوه خسران. انتم الصخور ارباب الغزائم اصحاب المعالي. يتكلم الشاعر مع السردية الذين طغوا وهجموا على بني صخر

٤) لما تشاور قوّاد السردية قالوا نزل شيخ بني صخر في ارض عظيمان

٥) طلال هو شيخ بني صخر مات. وكان شيخ له خيمة كبيرة. يقصده العرب من كل الجهات. يقول الشاعر: اعداه السلاطين وسامًا. الله لا يبخل بعطيه

٦) لما سمع الصخور من متعب انهُ بقبيل لنزوم ارسلوا رقيبًا فأشرف الرقيب فوجد متعبًا الكنج. فاستعدّ بنو صخر للحرب

٧) صار الصياح وهو صوت المتحاربين. وتحرّكت الخيل. وهجم بنو صخر على متعب وفرسانه فهرب متعب وجماعته لا يدرون اين يتوجّهون

٨) اطلق الرصاص بنو صخر على السردية

٩) وقع متعب بميدان الحرب. وكان متعبٌ كريمًا يذبح الذبائح المديدة للمسافرين

١٠) سقط متعب صاحب النويقة. رماه بطل من الصخور

١١) هايل وذوقان هما من الصخور ودّا الخيل مع مثقال. مجليات الثنايا هي النساء الجميلة

١٢) وكان ذعار بطل من ابطال الصخور يرمي سهامهُ فيسقط الرجال على ارض ويترك اجسادهم للطيور الجائعة

يا هَجّر هجّر اللابيس بالزانْ يشداك نجم والخدرْ من سمايا (١
يا سالم ابو جَبهة كما الحرّ ظليانْ قلايعهْ باليد ما هي حذايا (٢
قُفطان خيّال المناعيرْ قفطانْ بساعةٍ بها السّبايا عَرايا (٣
لو حضر نوّاف بسيف ظابانْ اخواله المدوان شيوخ قضايا (٤
لو حضر فايز وفوّاز فرسانْ غياهب مثل السيوف المضايا (٥
فوّاز شيخ تتّليهْ فرسانْ بني صخر هيلّ البيوت التّقايا (٦
معذّبين بلادهم بجرّد الزانْ حمّاية للخانف وسّاع الثنايا (٧
واختم كلامي بالنبي ولدْ عدنانْ يا ربي لا تكتب عليّ خطايا (٨

رثاء نمر العدوان لامرأته وضحاء

ان نمر الشاعر بعد ان قضى عيد الاضحى في القدس رجع الى بلاده في نمرين وفيما هو سائر في الطريق احسّ بحزن شديد وشعر بموت امرأته وضحاء فأخذ يبكي وهو ينشد المرثية الآتية ولم يكن احد اعلمهُ بموتها وانما القلب نبّهه الى موتها

البارحة يا عُقاب يوم القمر غابْ بليلة العيد السعيد الجديدِ
عيدٍ سعيدٍ بضُحى العيد لي طابْ حاضر وناظر بمايد وديدي (٩

---

١) هَجّر هو بطل ايضاً كان يضرب لابني الدروع بالرماح كأنهُ نجم اغدر من السماء.
٢) سالم هو بطل من بني صخر. القلايع هي الجبل التي يأخذها المحاربون من عدوه بعد ان يُقتل صاحبها
٣) قفطان من الصخور خيّال مشهور. مناعير هي الافراس الحربية. قفطان اي برقت قليل. جعل المتحاربين عُراة
٤) نوّاف من شيوخ الصخور. سيف ظابان اي باتر. ان المدوان هم اخوال نوّاف وهم قضاة عند العرب
٥) فايز وفوّاز من شيوخ بني صخر. اي إسود
٦) فواز شيخ تسير وراءهُ فرسان عديدون وهم بنو صخر اهل البيوت التقية
٧) يدافعون عن بلادهم بالرماح ويحمون الخائف. وسّاع الثنايا اي يبتسمون للضيوف
٨) يختم كلامه بنبي الاسلام المنتمي الى عدنان ويطلب الصفح عن خطاياه
٩) عقاب ابنهُ. يقول بالامس يا ولدي يا عقاب حين غاب القمر بعد ان قضينا اول العيد بالافراح تحوّل آخر العيد الى حزن وكأني حضرتُ وسمعت الباكين يندبون وضحاء.

من عيدنا هذا طَفِرْ قلبنا وشابْ ... سار امس الاعياد يا عقاب عيدِ (١)
امر جرى لي بالمقادير واسبابْ ... غضبٍ عليَّ يا عقاب ويش بيدّي (٢)
محبوبي أنا سقاني شهدًا صفا ذابْ ... ارياحٍ من فحّاح سُوتِ البريدِ (٣)
محبوبنا عبد وسيّد وحبّابْ ... ذو ناب هو عبدي وذو ناب هو سيدي (٤)
ياعقاب انا جيت المحبة وكاني كنت غيّابْ ... نبّهتُ الخدم يا عقاب ويّا العبيدِ (٥)
سايلتهم عن صاحبي وين هو غابْ ... قال استمع يا ينذر ما هو بعيدِ (٦)
زايرْ تعالَهْ يا نمر بسابحٍ ذيابْ ... سريعٍ يلفي والمحبة تزيدِ (٧)
ياعقاب إن كان غيظ ماجرى غيظ وعتابْ ... حافظ اساني من خطأ وحافظ يدي (٨)
يا عقاب اركب فوق ساجوج مهذابْ ... نظارِ سَبّتي سوسحاني فريدِ (٩)
اسرع من الدولاب لن ساب او ثابْ ... اكشف خبر محبوب عيني وأويدِ (١٠)
يا عقاب ان كان هرج العبد كذّابْ ... برجلي يا عقاب صكّ الحديدِ (١١)

---

١) اكتأب قلبنا وشاب من الحزن وغدا العيد من امس الاعياد. وكسر اواخر كلمة « عيد » للقافية واصلها عيدا ٢) انّ القدر هو الذي سطّر لها بالموت فماتت. ماتت رغمًا عني وماذا استطيع ان افعل يا ولدي عقاب

٣) يقول ان وضحاء سقتهُ كأسًا من الشراب الصافي الذائب الذي هو احلى من الشهد وذاك الشراب هو بارد كالثلج كأنهُ محمول مع الارياح

٤) ان المرأة هي تارة عبدة لزوجها وتارة هي سيّدة عليهِ ودائمًا قلبها يحبّ اكثر من قلب الرجل. ذو ناب بمعنى تارة

٥) يا عقاب لمّا اتيتُ المحبة وكاني كنتُ غائبًا عن اهلها فسألت الخدام: ماذا جرى ايها العبيد. كاني بمعنى كأنّي . ويّا اي ماذا

٦) سألتهم عن وضحاء ابن غابتْ قالوا: ما هي في محلّ بعيد. ان الشاعر يستعمل الصاحب عوض الصاحبة ٧) ذهبتُ لتزور اهلها بمحل يسمّى سابح ذياب فانها ستأتي عاجلًا وتزيد المحبة بينك وبينها

٨) ان كانت فارقتني وضحاء لسخط او لعتاب فما اسخطتُها ولا عاتبتُها لاني حافظ لساني من خطإ يسخطها ويدي من ضربها

٩) اركبْ فوق فرس سابق كريمة النسب أسرع من البرق فريدة بين الخيل

١٠) اسرع من الدولاب اذا دار . استخبر عن وضحاء وعن الذي اريده

١١) ان كلام العبد الذي سألتهُ هو كذب فاني لا استطيع المكث في هذه البلاد ولو وضعوا في رجلي الحديد

مكّنوا اكتافي واسجنوني ورا الباب لـروح انا وأنعى بلادَ الصيدِ (١
كل ما غنّيت امراح او جنت مرقاب لجوح جوح الذيب وعضّ بيدي (٢
أنهف ونوح واقطر الدمع سكّاب على صُويحبي أللي راح ما هو عن يدي (٣
يا قلبي تقول سفّوت حديدٍ شبّاب يا مهجتي لو انهُ حجر كان صار شيدِ (٤
من لامني يا عقاب يُبلى بارقط ثاب من جنّة الوهّاب ما يستفيدِ (٥

قصيدة زهدية بها الشاعر يوبخ نفسه على ما جرى منها منه المعاصي ويدفعها الى التوبة والندامة

ان الشاعر مشى هذه القصيدة كان قاطع طريق على انهُ لما رأى ما اتاه من المعاصي الكثيرة وعلم بقرب وفاته تاب عن خطاياه وانشد هذه الابيات الزهدية

غنّى الندومُ الذي بكى على ذنبهِ يقولُ يا نفسُ الرضى مع الله اسألكْ
حيدي عن الزلّات لا تعتني بهنّ وهذه مني يا نفسي نصيحة لكْ
يا نفسي لا تهوي الماضي تندمي دروبَ الماضي يا نفسِ مهالكْ
لا تشتهي اللذّات والدروب الماطلة في جنة الخلد يكون جلالكْ
صومي وصلّي واعبدي الله وارجعي خلّي ما مضى عنك زائد ضلالكْ
سايسة لما على الناس خيلْ مغيرة اكم ذانشا بيسا ما شيْ مالكْ (٦
فرعون ونمرود يا ما زعت لهم يا ما دوا بتخوتها والمالكْ
ذهبت عساكرهم وفنيت امرالهم راحوا هم وبادت كل الممالكْ

---

١) ولو وبطوني باكتافي وسجنوني في الدار لاجول في الدنيا حزينًا الى ان اصل بلاد الصيد

٢) وكل ما اتيت ربوعًا او ارتقيت الى رأس جبل اصرخ صراخ الذيب واعضّ يدي حزنًا وكآبةً

٣) ابكي وانوح واقطر دموعًا كالسحاب على صاحبي الذي غاب عني من غير ارادتي

٤) بقلبي نارٌ تشتعل ولو كان قلبي حجرًا لصار شيدًا والشيد هو الكلس. والسفّوت السنّود

٥) من لامني على بكائي فليبتّلْ بحيّة تلسعه ولا يدخل جنّة المولى الوهّاب

٦) سايسة هي كلمة دارجة بمعنى المنية والموت اي ان الموت يأتي على الناس كالخيل الغائرة فيما يكون الانسان غنيًا اذا به يصبح فقيرًا

اسكندر حكم بالارض اخذها الطويل ... يقّنْ ليوم البعث يبقى مالكْ (١
سليمان بن داود حكم الانس والجن كأنها ... طير الملا والوحش اتى اليه ضاحكْ (٢
حاكى الدّبى جابوا النبا ... قال اخبروني ما في الدنيا بعد المالكْ (٣
قالوا نبيّ الله اصلك من الثرى ... تحت الثرى تعود واللحد دابكْ (٤
تأمل بنطقها وراح يقول لها ... شقية عجبْ لِمَ يقلْ أدّبكْ
كيف حالك والعذر عند خالقكْ ... لا نحن ولا انتِ عند يومه تعالكْ (٥
لكن حذاركِ من قنّاص الموت يصيدكْ ... اذا ما رمشتِ يا شقية حالكْ (٦
يوطيك على جمر الالم قدمي الحياه ... بظلمة الجحيم كيف تكون حالكْ
عودي الى الله الغفور وارجعي ... في نعيم الدار والامن مجالكْ (٧

ابيات حكيمة

كتب شاب الى ابيه بعض الابيات يستصفحهُ عن ذنب لم يكن اقترفهُ وانما كانت نميمة وسعاية القاها قوم من الحسّاد بينه وبين ابيه. قال:

يا والدي يا والدي كيف أجازيكْ ... يا والدي والروح ترخصْ فداياكْ (٨
يا والدي يا والدي كيف أجازيكْ ... يا ليت جنّاين الخلد مأواكْ (٩

١) اسكندر الكبير اخذ الدنيا وافتتحها لزمان طويل ظانًا انهُ يبقى مالكًا الدنيا الى يوم القيامة

٢) يقول العرب عن سليمان الحكيم انهُ حكم على الانس والجن والحيوانات الناطقة

٣) الدّبى هي النمل . اي حدّث النمل فاخبره النمل الخبر الصحيح . سألهم ماذا يوجد في الدنيا بعد الممالك

٤) اي كان جواب النمل انّ بعد الممالك يوجد القبر

٥) ماذا تتذمّين من العذر للخالق الرهيب . عالكِ اي جاوب

٦) رمش اختبأ . حبًا مشى على بطنه . اي سار قنّاص الموت في الخفية حتى يصيد النفس الهاربة منهُ

٧) في نعيم الدار يكون مأواك

٨) يقول يا والدي ماذا اقدم لك جزاء اتعابك علي . ولو قدمتُ نفسي فداء عنك لا أني بشيء ممّا لك عليّ

٩) يا والدي اتمنّى ان تكون جنات النعيم مسكناك

عندك حكوا لي وعندي وشوا بيك انتم بغضتونا وحنا كرهناك (١)
يا والدي يا ما حملتني بين أياديك أنتم حملترنا وحنا حملناك (٢)

فاجاب الاب ابنه بكلام النصيحة قائلا :

إحفظ وصاتي لا يا مالك أوصيك لاجلك عن عِدة الشرك لاجلك (٣)
مُوصيك أنا يا بُوي عن عشرة الديك مَن رافقه يُماعي مماعاة الديك (٤)
لا تأخذ التي تقصرك عن معانيك لو أنها مثل الشمس أو القمر ذاك (٥)
تصبح مثل الجري تنبح حواليك إن طِعتها بالشور جارت على خاك (٦)
الوسوسة والشنشنة لا تجي بيك إيّاك لمع النافل إيّاك اياك (٧)
صديقك الي من زمان مصافيك أنها جرت بك حال لا تقول لولاك (٨)
وعدوك الي من زمان معاديك لو زلّت رجلك عن الطور دَرباك (٩)
أقتل وُليدك ان كان وُدّك يشفيك لو ترعل امهُ لا تخليه يلاك (١٠)

١) لقد ألقى الحسّاد النميمة بيني وبينك فانت ابغضتني وانا ابغضتك . وحينا هي كلمة يستعملها العرب بمعنى نحن بمعنى اي نحن كرهناك

٢) يا والدي مرّات عديدة حملتني على ذراعيك وانا تحمّلتُ غضبك بصبر جميل

٣) يقول الاب : يا بنيّ مالك احفظ في قلبك وصيتي الاخيرة اني اخالك عن الغش والمكر

٤) يا بوي اي يا ابي . اديك الانسان الفاضل الاخلاق . اي مَن رافق الانذال اصبح مثلهم في كلامه وسيرته

٥) لا تتزوج بالمرأة التي تبعدك عن الامور الرفيعة ولو كانت مثل القمر او الشمس . لان المرأة بكمالها لا يجمالها

٦) المَجري هي الكلبة . اي ان المرأة الجاهلة تطلب اشياء كثيرة لا فائدة منها وان سعيتَ مشورتها جعلتك تجوز وتظلم اخاك

٧) امنع الظنون الرديئة عن قلبك وابعد عنك النميمة — وشبّه صاحب النميمة بالمية السامّة

٨) اذا جار الزمان عليك لا تقل لصديقك الصدوق : لولاك ما جرى هذا الامر . لان طول الزمان بيّن لك صداقته الحقيقية . الي بمعنى الذي . — لنّها اي لو إنّها جرت

٩) ان عدوك الذي طالت عداوته يرهبك من راس جبل الى هاوية عظيمة اذا سنحت لهُ الفرصة

١٠) اضرب ابنك ان كنت تريد المسرّة لنفسك وان حزنتْ امّه لا تدعهُ يتسلّط عليك

لو من هانْ لبغداد تمالك ابن اخيكْ لو تطلب خمسة دواوين ما اعطاكْ (١
الضيف لا تعطيهْ مقرن علابيكْ خلّيه صديقك او حبيبك ان جاكْ (٢
ترى لو انّه قام من عندك حكى بيكْ قدّم لضيفك ما تيسّر بيمناكْ (٣
لَنّهْ لناك الموت ياخذ غواليك هذا ما هو بمجالْ غيظك اورضاكْ (٤
سهم المنيّة يصيبك لو تخبّات بوبيكْ وسهم الخطا لو تبيّنت ما جاكْ (٥
اعطِ الرجال حقوقها قبل تأتيكْ لا تدّعِ بالبطل والحق يَتلالكْ (٦

ابيات على القريعي للطلول بن رشيد يطلب فيها ناقة وبندقية وسيفاً فالحاحاً

يا الهي نادِ لي بالمليحْ وانت خلّاق الجنان الباردات (٧
ربي حياةُ الشقاوي هي ريحْ وانت خلاق الامور العاليات (٨
هيلا يا راكبين فوق فيحْ مثل سيمان الجراد مسرعات (٩

---

١) هان بمعنى هنا – يريد انهُ لو كان ابن اخيك يملك بلاداً واسعة من هنا الى بغداد لا تطلب منهُ شيئاً لانهُ لا يعطيك منها ما تطلب. الديوان هو محلّ الضيف

٢) اجعل الضيف صديقاً لك حينما يأتيك ولا تنس لهُ وجهاً بل اتمم علاقاته واكرامه

٣) قدّم لضيفك على قدر طاقتك من الاكل والاطعمة لانهُ حيما يخرج من عندك يمدح كرمك او يذم بخلك

٤) لَنّه اي لو انهُ. لو اتى الموت عليك يأخذ كل ما هو عزيز غالي ولا التفت الى رضاك او غيظك

٥) يشبّه المنون بجبّار حامل سهماً يرمي من اتت منيته ولو اختبأ عنهُ. ويترك من لم تدنُ آخرتهُ لو ظهر

٦) ادفع ما للناس عليك قبل ان تطالبك به ولا تنكر الحق وانت عارف به

٧) يا الهي وفّقني بما هو جيد ونافع – جنان ج جنّة

٨) الهي ان حياة الانسان التعيس على الارض هي تمضي كما يمضي الريح وانتَ باقي تخلق الامور العالية

٩) هنا يشد الشاعر على ناقة كي يسير الى طلال بن رشيد ويطلب منهُ ثلاثة اشياء. هَيْلا كلمة يستعملها العرب في نظمهم قبل الشدّ ومعناها اعلا وسهلا . والبعض يقولون معناها انتم يا راكبين. فيح هي الناقة السريعة – سيمان الجراد هي جماعة الجراد الكثير. مسرعات اي طائرات يشبه الناقة بالجراد السريع

او تشدن رَفّ القطا مع وجهِ ريحْ هجاهيج يلحقنْ المزفيّاتْ (١
او تشدن برق السما يرمح رميحْ من هماليل الثريا ناشياتْ (٢
انا بثني فاطرٍ هي سيدٍ فيحْ بَيْنْ لها والجثوم مربعاتْ (٣
ثاني طابة بندق ترزح رزيحْ هواياها بالضريب بيتاتْ (٤
ثالث طابة عندية تنربها صحيحْ من سيوف يا طلال مقرمشاتْ (٥
وهنادٍ إنْ سطا الدم يطيحْ ورؤوس في الدجاج مدملاتْ (٦

لغز على التلغراف

يا راكبَ الي ما تُداني الصغيرْ هيلع من نَقرة الهجن سرّاحْ (٧
امّه نعامه وقالوا ابوهُ بعيرْ جا مغاطانية على خفّ وجناحْ (٨
جِبال كُوره مثل سلك الحريرْ وسفايفُهْ تُقل القرابين طفّاحْ (٩

---

١) او تشبه جماعة القطا (وهو طير) طائرة مع الريح . هجاهيج اي نياق سريعة تلحق النياق الطريدة

٢) فهذه النياق تشبه برق السما يلمع ليلاً في سيرهـا وسرعة ركضها . وهي تعيش في الاماني المرتوية من الطل الثريا وهو اول المطر

٣) اريد ناقة حرّة تكون سيدة النياق اي أعلاها جنساً واحسنها اصلاً . تأكل الربيع من الحمل الموجود بين لها والجثوم وهما مكانان

٤) واريد بندقية لها صوت مرتفع . تظهر عباراتها النارية في الانسان المضروب اذ تفقده المياة حالاً وسريعاً

٥) واريد سيفاً قاطعاً من السيوف الثمينة

٦) وهذا السيف اذا نزل في الرأس سالت منهُ الدماء وسقطت الرؤوس على التراب فوق بعضها

٧) يا راكباً فوق ناقة حرّة . والحرّة هي التي تمشي عشرة أيام ولا تتعب . وهذه الناقة تخاف من الصغير . هيلع ناقة سريعة . نَقرة الهجن اي من خير النياق . سرساح اي سريعة كالسيل

٨) هذه الناقة امّها نعامة وابوها بعير . مغاطانيّة اي على سبيل الغلط . خفّ البعير هو اسفل قدمه . وجناح النعامة . شبّه الشاعر عمدان التلغراف برجلي البعير . ووضع التلغراف جناحاً

٩) كُور هو رحل البعير . اي ان جبال رَحْلِهِ مثل الحرير وعنى بذلك عن سلك التلغراف . السفايف هي شراشيب الرحل . تقل اي تمل . قرابين جمع غراب . طفّاح اي ممتدة

لَكَ ضربتَه بالكعب لهُ فرير تمشي عشرة أيام جايها بصباحْ (١
لَهُ ورد يشرب ثمانين بير ما بير الّا به ثمانين صيّاحْ (٢
مدّ من الطايف وامشي البصير السوق والبصرى طواها بروَاحْ (٣
قلاع رودس هدّها بالهرير وقصور حينا بالبحر تطفح طفاحْ (٤

من اللغز الاعرابي عن الشراة

يا تُرَكْ يا بنْ حميد ماذا البعير ما تجلبونه ان كان تبغون الارباحْ (٥
لعاد لا لهُ خفْ ولا جنح يطير وانت اذكرْ الله راكبه كيف ما طاحْ (٦
انا لقيت الكذب مع كل امير يا خَلَيل كذب مرويه غلط الرماحْ (٧

---

١) اذا ضرب مأمور التلغراف على الآلة يسمع لها صوت فرير . وحينئذٍ المدى الطويل يطويه بقليل من الزمان

٢) لَهُ اي لو انهُ . يقال ان اسلاك التلغراف ترضع اطرافها بالماء فلهذا قال الشاعر انهُ يشرب ثمانين بير . صيّاح هو الرجل الذي ينشل الماء من البير

٣) الطايف والبصير اسماء بلاد — والسوق والبصرى اسماء بلاد

٤) بامره هدّ قلاع رودس وبامره بنيت مدينة حينا يقصورها

٥ و ٦) قال الشراري الملقي اللغز ترك بن حميد : يا ترك يا ابن حميد ما هذا البعير الذي تذكره ان كنتم تريدون المكاسب لِمَ لا تجلبونهُ الى المدن وتبيعونهُ

٦) ان كان ليس لهُ خفّ بعير ولا جنح نعامة كيف راكبه لا يسقط على الارض . اذكر الله اي خَفْ من الله وهي جملة اعتراضية

٧) وجدت الكذب مع كل امير وترك بن حميد هو امير فهو كذاب ولكن كذب الامراء حلو حينما يكون صاحبه من الابطال الذين يروون الرماح بدم الاعادي . ولم يقل الشطر الثاني الّا حينما رأى ان تركاً قد غضب وظهر ذلك على وجهه

الوحي الالهي

نظر في امكانه وضرورته

للاب شرل ابيلا اليسوعي (تابع)

٣ في الاسرار وامكان الوحي بها

السرّ لغةً ما يُكتَمُ في النفس من الحديث (تاج العروس) وتقابلهُ في اليونانيّة اللفظة μυστήριον وفي اللاتينيّة (mysterium) ومعناها في الاصل الامر المُبهم او الخفيّ او المجهول

وقد وردت هذه اللفظة في اسفار العهدين (١ بمعنى الشيء المكتوم عموماً وخصوصاً بمعنى الحقائق الخلاصية المطويّة في علم الله قبل ان يبوح بها الينا على السنة انبيائه ولاسيّما ابنه الوحيد سيدنا يسوع المسيح

وفي عرف اللاهوتيين قد يأتي السرّ دالًا على كلّ من الطقوس المقدسة التي انشأها السيد المسيح لإحداث النعمة التي تُشير اليها وهي المعمودية والميرون الخ . . . الّا انهُ غالبًا ما يُعنى بالسرّ في اصطلاحهم الحقيقة التي تفوق ادراك العقل المجرّد

وقد يفوق الشيء ادراك العقل إمّا من حيث دخيلة ماهيّته واما من حيث وجوده واما من كلا الوجهين فيكون السرّ على ثلاثة انواع :

١ السرّ الطبيعي — وهو ما نتوثّق الى معرفة وجوده دون استيعاب مكنونات حقيقته من جميع اوجهها فلا سبيل انا الى استقصاء تعاليها ولا الى الإلمام باسباب التوفيق بين اصولها مع اننا بما فُطرنا عليهِ من الفهم نعرفها ملتئمةً متّحدةً في واقع الحال لأنّ وجودها لا يخفى علينا . ومن امثال ذلك المتعدّدة القضيّة التالية : « الحريّة غير المتناهية هي في الحقيقة عين الوجوب الغير المتناهي » . حكمتُ هذا الحكم وتثبّتُهُ اذ تأمّلتُ الحريّة والوجوب فالفيتُهما من الصفات الكاملة فلم أجد بدًّا من ان انسبهما الى الله بحر الكمال الذي لا حدّ لهُ وبما انّ ذاتهُ الصمدانيّة غاية في

---

١) دان (٢ : ٢٨)–مر (٤ : ١١) – رو (١٦ : ٢٥)–١ كور (١٣ : ٢ و١٥ : ٥١) الخ

الوحدة والبساطة ولا يدخلها تركيب البتّة وجب القولُ ان الصفات فيه تعالى لا يتميّز في الحقيقة بعضها عن بعض. فالحريّةُ فيه اذن هي عين الوجوب. أجزم بهذا ولا يخامرني ادنى ريب فيه مع اني مقرّ بعدم استطاعتي ان اكتشف وجه التوفيق بين الصفتين بل قد يخطر ببالي ما يحدثني بتنافرهما لولا علمي السابق بوجودهما ملتحمتين بل غير متميزتين في الذات الالهية . فانّ الحريّة تُشير الى فعل يمكن حدوثه او عدمه على حدّ سواء. والوجوب بالعكس هو حالة ما لا بدّ من وجوده. نعم انّ هذا التناقض ليس الّا في الظاهر وقد حاولَ الفلاسفة حلّ عقدته على طرائق مختلفة منها ما قال بعضهم: انّ افعال الله هي واجبة ازليّة اذا اعتُبرت مستقرّةً فيه وممكنةٌ حادثةٌ في الزمن اذا اعتُبرتْ صادرةً عنهُ منتهيةً الى مفاعيلها الخارجيّة . لكنّ هذا الجواب وانْ مرجّحاً لا يشفي الغليل ولا ينبجس منهُ تمام النور ومهما اجهدَ الحكيم فكره فلا يرى الوجه الصريح الاكيد للتوفيق بين الحريّة والوجوب في الله الّا من الباب الخارجيّ الذي طرقناه بعد ايمّة الفلاسفة وهو استنتاج اتّفاق هاتين الصفتين من وجوب وجودهما في العليّ الكامل. واما الباب الداخليّ الذي يحجب عنّا الرابطة الجوهريّة الواصلة بين الصفتين المذكورتين فلا سبيل لنا اليه. ذلك لأنّ عقلنا البشري مخلوقٌ ضئيل محدود فلا يقوى على استيعاب الكمال الذي لا حدّ له من جميع اوجهه فتظلُّ منهُ حيثيّاتٌ كثيرة لا تبلغها معرفتنا فقد غربت عنّا في الصفتين اللتين نحن في صددهما تلك الحيثية التي تنشأ عنها رابطة الوجوب بالحريّة فندري بها اذ دلّتنا عليها الوجود الّا اننا لا نبصرها بذاتها

على انّ معرفة السرّ الطبيعي لا تستوجبُ الوحي فانّا وان كنا نجهل تمام دخيلته الّا اننا نستطيع بقوانا الغريزية الوقوف على وجوده على ما مرّ بك

٢ السرّ اللاهوتي من الطبقة الثانية — وهو الامر الذي يقدر العقل الغريزي حتى قبل الوحي به ان يقف على امكانه ويوفق بين اصوله الّا انهُ لا يدري به موجوداً واقعيّاً ما لم يهبط عليه به علمٌ من الله. مثاله الافعال الاختياريّة المستقبلة سواء كانت الهيّة او بشريّة. فلا يعسُرُ علينا ان نتحقّق مثلاً امكان قتل زيد عمرًا بعد اربع سنوات. ولكن هل يقع ذلك حقيقةً ؟ هذا ما لا علم به الّا الله ولمن منَّ عليه بالنبوة. والى هذا النوع من الاسرار مرجع منشئاته تعالى الوضعيّة كتأسيسه الكنيسة المقدّسة

وايلانه ايّاها العصمة الى غير ذلك من الامور التي لمّا كانت منوطةً باختياره عزّ وجل تعذّر على الطبيعة المبرومة تبليغنا اياها وان احاطتنا علماً بامكانها. فلا بدّ ان يبتّ منشئها الالهي مشيئتَهُ في شأنها

٣ السرّ اللاهوتي من الطبقة الاولى — وهو ما جمع بين خواصّ النوعين السابق ذكرهما. فيفوق ادراكَ العقل الطبيعي وجودُهُ وداخليّاتُ ماهيتهِ معاً فلا هو يعرفه واقعاً بمعزلٍ عن الوحي ولا بعدَ الوحي لهُ طاقةٌ على استيعاب موحًى به باجمعهِ. مع اننا لا نرى بين اصول السرّ من هذا الضرب تنافرًا ولا تضادًّا أكيدًا الّا اننا لا نرى ايضاً الاسباب الداخليّة التي توفّق وتجمع بينها فلا نُوقن إمكانه الّا على سبيل الاستنتاج اعني مشهودًا عليهِ بنفس وجوده الذي اوحاه الله

وعلى هذه الشاكلة سرّ الثالوث الاقدس لهُ السجود. ويُعبّر عنهُ بالقضية التالية: « في الله اقانيم ثلاثة وهي تقوم بطبيعة واحدة. » فانّك تفهم في هذا التعبير معنى لفظتَي « اقنوم وطبيعة » ومهما جحف الملحدون يشهدُ ضميرك انّ البونَ شاسعٌ بين هذهِ القضيّة وهذيان الهاذر بقولهِ مثلاً « نَعْلَمْ بَعْلَمْ » بيد انّ كمالاتِ الله سامية اوفى واعلى من ان يحيط الذهن المخلوق بجميع جهاتها فمع ادراكك في سرّ الثالوث معنى المسنَد اليهِ (الاقانيم الثلاثة) والمسنَد (قائمة بطبيعة واحدة) لا يتجلّيان لك من كل اوجههما فلا تتحقّق اسناد الثاني الى الاوّل ولا تجزم بهِ عن سبب داخليّ ولكن لداعٍ خارجيّ فقط هو كلام الحقّ سبحانهُ وتعالى ولذلك تظلّ حتى بعد الوحي واذعانك لهُ بالايمان عاجزًا عن استطلاع وجهٍ داخليّ للتوفيق بين المُسنَد والمُسنَد اليهِ وانما يدلّك على امكان الثالوث وجوده المشهود عليهِ من العليم الصادق

ومن معترضٍ يوقفنا عند هذا الحدّ قائلاً: انتَ مقرٌّ بعجزك عن اقامة الدليل العقلي على امكان الاسرار من النوع الثالث فعلامَ تحاول بيان لامكان الوحي بها. فنجيب:

اولًا الممكن على ضربين فهو امّا ايجابي او سلبيّ. والاوّل ما تثبّتنا بقوانا الغريزيّة امكانَه وعدمَ تناقض اصوله. والثاني ما كان العقل المجرّد بازائهِ في موقف الريب والتردّد فلا هو متحقّقٌ امكانَه ولا هو متحقّقٌ عدمَه وهو قبل إلمامنا بالوحي موقفُنا جميعاً سيّان كنّا مؤمنين او مُلحدين بازاء الاسرار اللاهوتيّة من الطبقة الاولى وعليهِ فان كنتُ انا لا استطيع بمعزل عن الوحي الدلالةَ على امكانها الايجابيّ فليس

بوسعك انتَ ايضاً ان تتبيَّن فيها خلقاً ايجابياً لأنَّ لكلينا نصيباً واحداً في معرفتها وكلانا لا نستوعبُ اصولها. انا ذو عقل مخلوق محدود وانتَ كذلك ومهما كنتَ اوفر مني ذكاء واثقب ذهناً فالله يفوقك واياي بما لا حدَّ لهُ وما يغربُ عني من دخيلة السرّ لا يحصحص لك. فكلانا اذاً سيَّان وليس لاحدٍ منا قبل الوحي ان يبتَّ بوجود السرّ او عدمه ولا بامكانهِ او استحالته

ثانياً . لحسبك اذاً للاسرار اللاهوتيَّة ذاتِ الطبقة الاولى بالامكان السلبي . وهو ما يتوخَّى اللاهوتيون اثباتهُ لكلّ سرّ بفرده. فانهم كلَّما عثروا في مباحثهم على حقيقةٍ من نوعهِ يباشرون اثبات ورودها في كلام الله المكتوب او المنقول على لسان التقليد. ثمَّ يعمدون الى حجج المعارضين بل غالباً ما يضيفون اليها غيرها مما استنبطوه هم بذاتهم فيبيّنون عدم صلاحيَّتها لاظهار التناقض الصريح في الحقيقة السرّيَّة التي اثبتوها موحاةً من الله

ثالثاً . ويضيقُ بنا المجال لو اردنا استقصاء آثارهم في ابحاثهم هذه عن كلّ سرّ بفردهِ فانها تكاد تستغرقُ كلَّ علم اللاهوت فلندعها اذاً لهم مقتصرين على السرّ اجمالاً شأن الدفاعي (apologiste) ضاربين صفحاً عن قدر مجاوزتهِ حدود المدركات الطبيعيَّة وعمَّا هو فيهِ محجوبٌ عن العقل المجرَّد سراء كان وجوده او ماهيَّته او كلاهما معاً. فيكون حدّ بحثنا في هذا المقام ايضاح القضية المجملة التالية : « انَّ في الله كمالاتٍ تفوق ادراك العقل المجرَّد ». ولنا بقدرها كفاية لأنها اذا ما صحَّت صحَّ ايضاً ما افحم بهِ اللفان اللاتكي متعاقلي عصره وعصرنا اذ قال (١ : « قد غالى في الحماقة من ظنَّ كذباً ما نطقَ بهِ الوحي الالهي بحجَّة انَّ العقل لا يستطيع استقصاءه »

ولدينا على قضيَّتنا المذكورة المبني عليها هذا الاستنتاج بيّنات عقليَّة نقتصر منها على اثنتين :

« البيّنة الاولى) مهما اجهد الانسان فكره واستغرق الاشياء وتقصَّاها تظلّ معارفهُ ضمن دائرة تحدّها قوَّتهُ الفطريَّة وهو السبب في تراوح العالم درجات ليس فقط من الاطفال الى الكهول ولا من الاميين الى العلماء ولكن حتى ما بين الذين

---

١) الخلاصة ضدّ الامم ك ١ ف ٣

صرفوا عمرهم في درس المسألة الواحدة فقد يُصيب هذا من الحقيقة ما لا يصيب ذاك مع انّ تكليهما طبيعةً عقليّةً لا تختلف جوهرًا في الاوّل عنها في الآخر وانما الفرق بينهما يتناول الكميّة والقدر ليس الّا . فكيف ان كان البونُ جوهريًّا وقابلنا فهم البشر بفهم الملاك مثلًا . اليسَ انّ هذا يحلّق في عالم الروحيات ويخوضُ فيما لا نقوى نحن حتى الى الدنوّ اليه . وكيف لو حاولنا ان نسبر عمق علم الله وان نقابل بسموّه وسعته ونوره حقارةَ علمنا وضيقَهُ وظلامهُ . هو العليّ الكامل جامع المحاسن كافةً في ذاته فلا يُحصى فيه عديدها ولا يقدَّر قدرها فهو اذن في ذهنه جامع المعلومات كلّها لا يفوته منها شيء بل علمهُ هو عين جوهره يفوقُ علمنا بما لا نهاية لهُ وكما انّ الروح المحض ادرى منّا بما فيه بقدر ما هو اكملُ منّا فطرةً وجبلةً كذلك الربُّ اعلم بمكنونات ذاته من خلائقه بقدر من يُفضِلُ عليهم طبيعةً وكيانًا اعني بما لا حدّ لهُ . فلا عدد اذًا يُحصى ولا حدّ يُعين للمُدركات الالهيّة المطويّة في جنانه تعالى محجوبةً عن بصائرنا البروزة ظاهرةً لهُ وحدهُ عزّ وجلّ وقد ضلّ من انكر وجود الاسرار

(البينة الثانية) ولا عجب من هذا فانّ الطبيعة الحسيّة عينها استبطنت من الحقائق الغامضة بالوفر اعيت حتى الجهابذة من العلماء . فإن كانت الارضيّات مخفيّة اكثرها علينا فكيف بالسماويات ولا سيما انت عالمٌ اذًا لا تصعد الى الخالق الّا راقين اليه على درجات مخلوقاته

قال هنري پوانكاره (H. Poincarré) في خطاب القاه في المحفل الفرنسويّ (acad. fr^se) : « مهما بعدت وامتدّت فتوحات العلم فلا يزال نطاقهُ محدودًا والسرّ يحيط بهِ من كلّ انحاء تخومه » . وانّ في تقدّم العلوم في عصر النور هذا ما يؤيّد القول المذكور فقد بلغَ الانسانُ في ايّامنا من الاكتشافات النظريّة والعمليّة حدًّا كاد لا يكون وراءهُ مطّلع لولا انّ العقل البشريّ من طبعهِ نقّاف لا تثبّط عزيمتهُ ولا يقنع بما احرز مهما وفر واناف . بل كلّما زادت مقتنياته العلمية يطمح بصره الى غيرها وكلّما تحقّقت لهُ امنيّة يرى الطبيعة حتى اسفلها تملك عنهُ معلوماتٍ هي اوفر من التي حصّلها او سوف يحصّلها . هذا ما يقرّ بهِ العلماء الثقات كلّهم فانّ في اعماق المادّة الواقعة تحت اعينهم حركاتٍ خفيّة وتقلّبات سرّيّة يا بعدَ ما تبدو لهم الرغوة عن صريحها . حلّلوا الاجسام حتى ابسط اجرامها لكن تُرى هل علموا وهل

يعلمون يوماً ما هي مثلاً حقيقة الجاذبيّة التي تجتذب الاوكسيجين والهيدروجين الواحد الى الآخر فتبلغ الرّائعة بالغازين الى حدّ ان ينزعا كلٌّ طبيعتهُ فيتدثّرا طبيعةً جديدة هي المائية. هل علموا وهل يعلمون يوماً بما تقوم الاجسام وأي قوّةٍ تصل بين ذرّاتِ الواحد منها. اصطنعوا النظّارات الحادّة فثقبت بها اعينهم كبدَ السماء فقاسوها وقدّروها ولكن هل ثقبت بصيرةُ عقلهم وهل تثقب يوماً كنهَ الكواكب والسيّارات فيفقهوا علامَ تتجاذب ولا تتلاصق! ثمّ كيف تتضمّن بزرةٌ واحدةٌ كرّاتٍ من الاحياء وما هو موقف الجوهر تحت الاعراض وكيف يتّحد في المركّب الانساني ضدّان جسدٌ وروح فهما جوهرٌ واحدٌ واقنوم واحدٌ. كيف هذا وما ذاك؟ ... لعمري لم ترتفع بعد عن الماديّات الّا ولكلّ خطوةٍ خطوناها على الارض ولكلّ درجةٍ رقيناها في ابراج السماء المنظورة أنشدَ لسانُ حال عيانا:

ثمّ سرٌّ غامضٌ من دونهِ ضُربَت بالسيف اعناق الفحول

أفتنكر التحليلات الكيماوية والتحوّلات الحيولية الجواهر والاعراض واكتشافات الفلكيين ووحدة الهيكل البشري والعالم المادّي اجمع لانّا لم نستقصِ كنههُ؟

اما في عالم الروحيات التي يلمّ بها العقل الصرف فامثال هذه المشاكل وغيرها اشدّ منها صعوبةً اوفر من ان تُحصى. فقد حدّثناك فيما سلف عن ثبوت الوجوب والحرية في الله. وان شئتَ زيادةً فتأمّل المتعاقلين الروحيين الالهيين عن حقيقة الخلق. هم يعتقدون كما ونحن. نشر الكاثوليك وجودَ الروح قائمٍ بذاتهِ متميّزٍ من مبروءاتهِ فيسلّمون اذًا انهُ تعالى اخرجَ كلَّ شيءٍ سواه من العدم ومن ثمّ لا يترددون في القول: إلهٌ روحٌ محضٌ وهو خالقُ الهيولى. ولكن تُرى هل اطّلعوا على كيفية ذلك هل اوضحوا لنا كيف حال بتحوّل الخالق العدمُ وجودًا وكيف أثّر الروح المحض في العالم كيانًا ماديًّا. تالله وعمرُ الحق عقدة لم يظفروا بفكّها ومع ذلك لبثوا معتقدين حقيقتي الخلق والروحانية الباري مع عدم استيعابهم لهما لانّ العقل السليم دلّهم على وجودهما. بل أخذوا باللائمة على الماديين الحلوليين الذين حاولوا فضّ المشكلة بحذفها والابدال منها تناقضاً صريحاً اذ قالوا والعياذ بالله من كفرهم: انا المادّة ازليّة وانا هي الله. ولكن بايّ حقّ ينكرُ مذهبهم هذا المتعاقلون الروحيون؟ باي حكمة ينفرون

من ضلال الحلوليّة ويقعون هم في مثله ؟ اليس في قضية الخلق كما وفي اسرارنا الموحاة ما يفوق ادراكهم ؟ فما الذي بغّض اليهم هذه وحبّب تلك

أفيُجيبون : « ان السرّ الطبيعيّ وان معضلاً يقوم بالحجّة والبرهان . اما السرّ اللاهوتي فلا دليل عليه » . ومتى كنا نحن النصارى نؤمن عن عمى دون ان نعي سبب ايماننا ؟ أوَ ما حسبنا شاهداً على اسرارنا كلام الحق جلّ وعلا ؟ (١

ثم يلاحقون علينا قائلين : « ليس في الاسرار الفلسفية من التناقض الصريح ما نعثر عليه في اسراركم اللاهوتية . تلك مثلاً عقيدتكم في الثالوث جمعتم بها طرفي النقيض لأنّ الله ان كان واحداً فليس ثلاثة وان كان ثلاثةً فليس واحداً وانتم تقولون عنه واحداً ثلاثةً » . اعلمْ انّ في هذا الاعتراض من الافتراء على الوحي الالهيّ ما لا يخفى على ذي عقل سليم ؛ فمتى سمعونا نقول انّ الطبيعةَ الواحدة طبائعُ ثلاثةٌ او الاقانيمَ الثلاثة اقنومٌ واحد ؟ لا لا يا صاح الطبيعة في الله واحدةٌ ومن ثلّثها أشرك وكفر ولسنا نحن من اتباعه . والاقانيم الالهيّة ثلاثةٌ ومَنْ وحّدها شذّ عن الايمان القويم ولسنا نحن من رأيه . ومَنْ وحّد الطبيعة وثلّثها معاً او ثلّث الاقانيم ووحّدها معاً فهو هو الكافر بل هو وحده لا نحن النصارى الذي يضمّ طرفي النقيض . ايماننا هو والحمد لله الاقرار بطبيعةٍ الهيّة واحدة تقومُ بها اقانيم ثلاثة . ألا أمعن النظر في هذه القضية وتشرّب معنى الفاظها فان كنتَ ولا عجب تعيا عن تعليلها وتكييفها فاقلُّ ما تفهمه انّ معنى الاقنوم هو غير معنى الطبيعة . فمن اين لك ان تبيّن في توحيد هذه وتثليث ذاك تناقضاً صريحاً ؟

اما وقد تثبتنا وجود الاسرار فلا حاجة الى الاسهاب في بيان امكان الوحي بها بل نحنُ هنا في غنىً عن برهانٍ جديد يُضاف الى الادلّة التي قدّمناها (ص ٤٤٣—٤٤٥) في امكان الوحي اجمالاً

والحقّ يقال انّ السرّ وان كان لاهوتياً من الطبقة الاولى يسهل على الله اعلامنا اياه لا اقلّ ممّا يسهل عليه إنذارنا ببواقي الحقائق . فمن جهةٍ يُحيط به علمُ العليم كما وبكل شيء . ومن أخرى ليس خروجهُ عن نطاقِ مدركاتنا الطبيعيّة ممّا يضيق له ذوع القدير عن الوحي به الينا . ولا حاجة له تعالى من اجل هذا الغرض ان يُرينا ذاتهُ

(١ راجع ص ٢٤—٢٧

وجهاً لوجهٍ كما يعاينها الابرار والملائكة في السماء. فالعقل البشريّ المجرَّد وان كان لا يستوعبُ في القضية السرّيّة المسنَد والمسنَد اليهِ باجمعهما الَّا انَّهُ على ما مرَّ بك يفهم معنى كليهما فلا يتعذَّر عليهِ اذًا الجمع بينهما بالاسناد. نعم انَّهُ يجزم بموافقتهما بناء على كلام الله لا على سببٍ داخليّ وقف عليهِ بذاتهِ او حصَّلهُ هو ببحثهِ . غير انَّ هذا ليس من مقتضيات الفهم ولا التصديق والتأكيد . ذاك التلميذ مثلًا يفهم معنى القضية الهندسيَّة لمجرَّد شرح الاستاذ لمنطوقها وقبل ان يلمَّ ببرهانها اما معرفة التلميذ اسبابها وروابطها الداخلية فتلي فهمهُ لمنطوق القضية وانما يقف عليها عندما يؤيّد المعلّم الحقيقة الهندسيَّة بدليلها . واما التصديق والتأكيد فيولّدهما في ذهنك الشاهدُ المزكّى دون ان تطّلع بذاتك على الحادث الذي يرويه لك واي شاهدٍ اصدق من الله سواء سردهِ حادثًا جرى او بسطهِ حقيقةً نظريةً

٤ فوائد الوحي

علمتَ ممَّا سبق (ص ١١٨ — ١١٩) ان منطوق الوحي الالهي نوعان فهو اما حقيقةٌ سرّيَّة غامضة واما حقيقةٌ طبيعيَّة لا تخرج عن دائرة مدركات العقل الغريزي

اما الوحي بالحقائق التي من هذا الضرب الاخير فلا نطيل الحديث في منافعهِ لاننا سنفي بالمراد ونزيد اذا ما بيَّنَّا في الجزء التالي ضرورته فضلًا عن فوائده فنكتفي هنا بالاشارة الى بعضها

فاعلم اوَّلًا انَّ الوحي بما لا يفوق ادراك العقل يؤول على الله بمجدٍ عظيم فهو اذًا خليقٌ بهِ تعالى لا يحطّ من عظمته . وذلك لانَّهُ يصرف النظر عن مضمونه وفي حدّ ذاتهِ فعلٌ الهيٌّ يظهر كمالاتهِ تعالى لا أقلّ من باقي مخلوقاتهِ بل بالاحرى يحدو بنا الى تمجيد الناطق بهِ وتسبيحهِ

ثمَّ انَّ الوحي هذا مفيدٌ للانسان ذاته . قل لي يا صاح ماذا لو تركك ابواك وشأنك بعد سنّ الرضاعة والطفوليَّة ووكلا الى الطبيعة وحدها تخريجك وتثقيفك ؟ اجل انَّك لم تكن في تلك الحالة مُتَّ جوعًا وبردًا لانَّك كنتَ درستَ ما انت محاطٌ بهِ من المخلوقات واستخلصتَ منها حاجتك. لكن شتَّان بين حالتك تلك وحالتك الآن . فاين هناك ما افادتك بهِ هنا تربيةُ والديك وخبرتهما قدخاتَ الحياة مدرَّباً محنَّكاً ؟ اينَ هناك ما حصَّلتهُ هنا بتعليم معلّميك من الآداب واللغات والمعارف

فلمّا اردتَ السير في جادّة الدروس الشخصيّة الفيتها ممهدةً ووجدتَ في سابق علمك نبراساً يهديك في تنقيباتك الصراط المستقيم . فلو لم تُذرَّع من غيرك تربيةً او لم تُلقَّن من مخرّجيك علماً لكنتَ في الثمانين من عمرك اجهل واقلّ حنكةً من ابن العشر . وكذا قل عن المعارف الدينيّة الطبيعيّة لو لم يلقّنها الله عبادَه بالوحي لَما كانوا بلغوا الحدّ الذي بلغوه منها . فسبحان الذي افاضَ علينا ضياء بكلامه المُنزَّل فنفضنا به ديناً نيّرًا وعبادةً حارّة

اخيرًا انتَ تعلم انّ اُسَّ الدين حتى الطبيعيّ هو الاقرارُ قولًا وفعلًا بربوبيّة الله فمن مقتضياته الاولى اذًا الطاعة والخضوع ومن منافع الوحي اتساع نطاق تلك الطاعة اذ الوحي يستوجب الايمان فيعدو بالانسان الى الانقياد لربّه ليس فقط ارادةً ولكن عملًا ايضاً

امّا معرفة الاسرار الموحاة فما اشبه من ينكر فائدتها بفقير طلب منك فضّةً فلمّا اعطيتَهُ معها ذهبًا القى به في البحر ظنًّا منهُ انهُ يغنى عنهُ فهو بالفضّةِ وحدها وسرٌّ موسّع . فالفضّة هي القوّة العقليّة التي خوّلنا الله اياها بها نعدّن المخلوقات فنستخرج منها ما اذّخرت لنا من الاشارات الى الكمال الالهي . واما الذهبُ فهو علمٌ تفرّد بهِ الله اذ ليسَ للخلق سبيل الى الوصول اليهِ بقواهم افيرفضونهُ ام لا يعتدّون بهِ اذا منَّ بهِ تعالى عليهم . لعمرُك مهما حوى السرّ الموحى ظلاماً فلا يخلو نورًا فتزدادُ اذًا بهِ ولا شكَّ معارفنا ومن لا يرى انَّ بزيادة المعارف للذهن كمالًا وجدوى . ومهما عيينا عن استيعاب السرّ فاننا لا ندرك وجوده الّا وقد حلّقنا في سماء الروحيّات حتى مقدس اللاهوت فيتجلّى منهُ لاعيننا « ما لم تره عينٌ ولا سمعت بهِ اذنٌ ولا خطر على قلب بشر » . ومن لا يرى انَّ العقل يسمو فينتفع اذًا كلّما سمتْ معرفتُه

فما الرأيُ اذن بقول العقليين انَّ السرّ لا يجدينا الالمامُ بهِ فائدةً بل يحطّ من كرامتنا . اسمع جان جاك روسّو احد زعمائهم يقول (في كتابه الذي عنوانهُ اميل) : « ليس معبودي الهَ الظلام وما أولاني فهمًا كيما يتسنى الانتفاع بهِ فمن اشار عليَّ باخضاع عقلي اهان مُبدعَهُ » . ولِمَ ؟ لِمَ اُسامُ عارًا اذا طأطأتُ الرأس عند قدمَي ربّي والهي فآمنت بمقالهِ مهما خفيت عليَّ روابطه . قال الاب مونسابره يجيب

المذكور روسو : « سبرتُ نفسي وسبرتُ انفسا قريبتها اليَّ المودّة فتعوّدت ان تكشف لي عن ضمائرها سألتُ الاحقابَ وتمثّلتُ من العقول التي سطعت في فلك الحكمة اثقبها فكان اعتقادي انَّ رضى الانسان بما لا يحيط به ادراكه لا يُلحق به ذلًا ولا يثبّط له همّةً بل الاسرار سُنّةٌ تضمن للمرء امناً ولعقله رقيًا » (١

والحقّ يقال انَّ الانسان ان كان من طبعه ميّالًا الى العالم فهو من طبعه ايضاً ميّال الى الكبر فاذا نال من المعارف حظوةً ربّما آل به الكبر الى ان ينسى ابا الانوار الهه فينسب الى ذاته الفضلَ كلَّ الفضل في احراز ما احرز هذا مع انَّ العالم المنظور عينهُ يتقلّب في ليل من الاسرار لا يبدي للمتبصر نورًا الّا تخالهُ ظلامٌ فكيف لو كان كلّهُ نيّرًا لا يطري عنّا حقيقةً ولا يحجب شعاعاً . أما كنّا نُفتن بذكائنا فنسهى عن المعبود الفرد ونتوهّم اننا نحن صانعو العالم لاننا أحطنا باجمعه علماً . ولذا اتانا الله بالدواء وانزل فاضاف الاسرار المرجاة الى الطبيعيّة حتى اذا ما تجلّى لنا بمخلوقاته ووحيه مكتسياً نورهُ ظلاماً هدانا نورهُ الى الالمام بكمالاته وأرغمنا ظلامهُ على الاقرار بعظمته وحقارتنا فنخرّ عند عرشهِ هاتفين : لكَ السجودُ يا ليلًا نيّرًا ويا نورًا مظلماً . والخلاصةُ انَّ ما اودعهُ الله اسراره الموحاة من الصعوبات والمشاكل لم اضنّ ضامن لتواضعنا وخضوعنا لهُ تعالى

على ان هذا الخضوع لا يحطّ من كرامتنا بل ينيلنا مجدًا اثيلًا . اجل طأطأنا الرؤوس خاضعين لكن لمن هو اعظم منّا بما لا نهاية لهُ . زحفنا على الركائب فسجدنا لكنَّ معبودنا هو الربُّ الاله وهو كأنهُ عدلٌ وجودةٌ لا يُضيع لطاعة عبيده اجرًا ولا لايمانهم ثواباً . يكافئهم في الحياة الاخرى اذا ما ضاءت لهم انوار مجده فيعاينوه وجهاً لوجه ويكافئهم ايضاً حتى في هذه الفانية حيث يُفهمهم من الحقّ ما فيهِ لذّتهم وسعادتهم فانَّ عتمة الاسرار يجاذبها النور من كل جانب وفي خلال معضلاتها اودع الوحي الالهيّ حقائق راهنة يا سعدَ من آمن بها ويا سعد سعدهُ اذا ما جعلها ليلًا نهارًا وضوع تأملاته فانَّ ما احرزه منها يُضرم في قلبهِ الشوق الى التشبّع بنيرها فيهبُّ سائرًا على جادّة الوحي مستنيرًا بهِ في كل خطواته تعينهُ حقيقة على ايجاد اخرى

(١ MONSABRÉ: Introduction au Dogme catholique, T. I, 4e Conférence, p. 111.

ولا تتوهمنَّ انَّ الباحثين العلماء وارباب اللاهوت وحدهم يتمتعون بهذه الافراح فانَّ في الاسرار سنَّةً تضمن الرقيَّ حتى لأوضع المؤمنين واصغرهم . وما احسن ما قال ونسابره في هذا المعنى (١ : « قد شبَّه الله ذاته (تثنية الاشتراع ٣٢ : ١١) بملك الطير الذي يُثير فراخهُ ويستنزلها للطيران . هي تسمعُ صراخهُ يدعوها الى قمم الصخور فتنحني من عشها وتتساقط في الفضاء باسطةً اجنحتها ثم تصعدُ الى ابيها فتطير واياه نحو الشمس التي تسقي بنورها احداقها الوقَّادة فتستطيع ان تحظ من العلاء الى رحبات الفضاء . وكذا نحن المؤمنين فانَّ ما فاهَ به كلمةُ الله يرنُّ كصوت النسر فوق الهوَّة التي اختبأت فيها فراخهُ فاذا ما قمنا وراء النسر الالهي وجاوزنا وحيهُ السامي بهتاف الايمان صعدنا صعودًا يزدادُ طلأنا الى الضياء كأنما نأخذ عنا سراج الطبيعة الضئيل . واننا حتى ما بين دجن الامور التي يفوق ادراكنا نشعر بقرب الشمس الابدية ، التي زمانها يومٌ ينتضي زمن الايمان وتحين لنا الرؤيا بلا حجاب في دار الخلود . (لم تتبع)

الحياة الحيوانية على وجه الكرة الارضية

نظرُ الاب اسكندر طوران اليسوعي

انهُ لعمري مشهدٌ يسبي الابصار أن نعاين على وجه أرضنا مظاهر الحياة الحيوانية في شؤونها المختلفة وعاليها المتباينة

قال صاحب المزامير (١٠٣ : ٢٤) : « ما اعجب اسمك يا ربّ في كلّ الارض » فهي آية تصدق في كل اعماله تعالى في ارضنا . عجيبٌ اسمهُ في هذه الافلاك الدائرة في السماء . وفي هذه الكواكب التي تزين القبَّة الزرقاء وكأنها جاريةٌ بنظام ثابت لا تحيد ذرَّةً عن سيرها . عجيبٌ هو في تداول الفصول السنويَّة واختلاف الاقاليم

---

(١) في المجلد ذاته ص ١١٧ و١١٨

ولا تتوهمنَّ انَّ الباحثين العلماء وارباب اللاهوت وحدهم يتمتعون بهذه الافراح فانَّ في الاسرار سنَّةً تضمن الرقيَّ حتى لأوضع المؤمنين واصغرهم . وما احسن ما قال ونسابره في هذا المعنى (١ : « قد شبَّه الله ذاته (تثنية الاشتراع ٣٢ : ١١) بملك الطير الذي يُثير فراخهُ ويستنزلها للطيران . هي تسمعُ صراخهُ يدعوها الى قمم الصخور فتنحني من عشها وتتساقط في الفضاء باسطةً اجنحتها ثم تصعدُ الى ابيها فتطير واياه نحو الشمس التي تسقي بنورها احداقها الوقَّادة فتستطيع ان تحظ من العلاء الى رحبات الفضاء . وكذا نحن المؤمنين فانَّ ما فاهَ به كلمةُ الله يرنُّ كصوت النسر فوق الهوَّة التي اختبأت فيها فراخهُ فاذا ما قمنا وراء النسر الالهي وجاوزنا وحيهُ السامي بهتاف الايمان صعدنا صعودًا يزدادُ طلأنا الى الضياء كأنما نأخذ عنا سراج الطبيعة الضئيل . واننا حتى ما بين دجن الامور التي يفوق ادراكنا نشعر بقرب الشمس الابدية ، التي زمانها يومٌ ينتضي زمن الايمان وتحين لنا الرؤيا بلا حجاب في دار الخلود . (لم تتبع)

الحياة الحيوانية على وجه الكرة الارضية

نظرُ الاب اسكندر طوران اليسوعي

انهُ لعمري مشهدٌ يسبي الابصار أن نعاين على وجه أرضنا مظاهر الحياة الحيوانية في شؤونها المختلفة وعاليها المتباينة

قال صاحب المزامير (١٠٣ : ٢٤) : « ما اعجب اسمك يا ربّ في كلّ الارض » فهي آية تصدق في كل اعماله تعالى في ارضنا . عجيبٌ اسمهُ في هذه الافلاك الدائرة في السماء . وفي هذه الكواكب التي تزين القبَّة الزرقاء وكأنها جاريةٌ بنظام ثابت لا تحيد ذرَّةً عن سيرها . عجيبٌ هو في تداول الفصول السنويَّة واختلاف الاقاليم

---

(١) في المجلد ذاته ص ١١٧ و١١٨

التي تجدي كلّ منطقة الحرارة اللازمة لكيانها . عجيبٌ هو في المواليد النباتيَّة التي تبسط على وجه الارض حليًا البهيَّة فتكسو اوديتها وسهولها وقممها بضروب الاشجار والبقول ودقائق النباتات المنمَّقة بالزهور الموسَّقة بالاثمار . لكنَّهُ تعالى عجيبٌ هو ايضاً في المواليد الحيوانيَّة المنبثَّة في انحاء المعمور فمنها الكبيرة الضخمة ومنها الصغيرة الدقيقة فكلُّها تنشأ وتعيش وتتوالد بنظام كامل لا يفوتها شيءٌ ممَّا يوافق كيانها وانواعها من صلاح مكان او مناسبة زمان او طعام . وكلُّها تقوم بما عهده اليها خالقها من الادوار في عالم الكون

ففي هذه الاسطر التي نرقمها اليوم قد خصصنا نظرنا بهذه المواليد الحيوانيَّة لاسيما الهوامّ والحشرات التي يغلب عددها على سواها والتي يزدري بها الناس لجهلهم خواصَّها ولو دقَّقوا النظر في محاسن اطوارها لوجدوها شبيهة باطوار العالم الطبيعي والمواليد النباتيَّة

واوَّل ما يستوقف النظر مبدأ حياتها الذي تنالهُ من حيٍّ آخر سبقها . فهما أجهد الماديُّون نفوسهم وكرَّروا الاختبارات لينتزعوا من الجماد شرارةً من الحياة او ليثبتوا التوليد الذاتي ذهبت مساعيهم ادراج الرياح فلم يستطيعوا البتَّة ان يبيِّنوا نشوَ حيوان واحد دون زرع سابق سواء زعموا انَّ هذه الحيوانات تنشأ من العفونيَّات النباتيَّة او انَّها تتولَّد من موادَّ حيوانيَّة متحلِّلة بالفساد . وما افادت نتيجة اختباراتهم الَّا انَّها دفعت علماء اثباتاً مؤمنين الى ان يتعمَّقوا في درس مبادئ الحياة فيثبتوا بالادلَّة القاطعة انهُ ليس حياة الَّا من الحيِّ وانَّ الحيَّ يتوالد من آخر من نوعهِ . فهذه قاعدة مطَّردة لا تشذُّ عنها تلك الحشرات الدقيقة والنباتات الناعمة كالنقاعيَّات والعفونيَّات والجراثيم الميكروبيَّة والموادّ المختمرة الخ فانَّ كلَّ نوع ينشأ تماماً عن نوع آخر شبيه بهِ كما استدلُّوا اليهِ بتلك الاختبارات التي استعملوها لاصطناع الخمر والجعة (البيرا) والجبن وغير ذلك . وكما تحقَّقوهُ بالعلوم الميكروبيَّة ومعالجة امراضها . فانَّ ذلك كلَّهُ يستند الى المبدأ الموما اليهِ وينقض اركان التوليد الذاتي الذي يريد الملحدون تأييدهُ لينفوا وجود الخالق فانَّهم شاؤوا ام ابوا يلزمهم الاقرار باكتشافات پاستور وضعف المزاعم الدروينيَّة (وسنعود ان شاء الله الى نقد المقالات التي نشرها المقتطف مؤخَّرًا في هذا الصدد)

قلنا انَّ الحيَّ يتولد من الحي لا محالة وزدنا عليهِ ان كلَّ نوع يتولَّد من نوع آخر يشبههُ فن البديهي انَّ الفرس تولد فرساً مثلهـا والنحلة تخلف نحلة وانَّ الميكروب ينشئُ ميكروباً مثلـهُ فيكروب الطاعون لا يولِّد ميكروب الكلَب والعكس بالعكس كما انَّ السنديان لا يخلف غير السنديان . ومنذ عهد دروين الى يومنا عجز كلّ انصارهِ عن وجود شذوذٍ لهذه القاعدة سواء كان في جملة الاحيـاء ام في عداد التوالد المستحجرة فلم يجدوا اثراً لاحد افرادٍ من الاحيـاء انتقل من نوع سابق الى نوع لاحق ثبت في الكون . فظهر بذلك فشل مذهب الماديين الذين يؤكدون بالنظر رأياً يخالفهُ التاريخ والاختبار العلمي اليومي

من المعارم انَّ في جبل اوغسطوس قيصر بلغ العالم الرومانيّ اوج عظمتهِ وفيهِ ظهرت نوابغ الرجال وطرائف الآداب . فكان من جملة ادباء ذاك العصر ڤرجيليوس إمام الشعراء الذي صنَّف التصانيف البديعة من جملتها قصائدهُ الزراعية ولهُ هناك وصفٌ للنحل قال في اثنائهِ : « اذا اردت تجديد كوائر نحلك خذ لك ثوراً اسود في جبينهِ غرَّة بيضاء فاذبحهُ وألقِ جثتهُ في عزلة . . . فلا يلبث بعد أيام ان يخرج منهُ خشرم من النحل . . . » وهذا الرأي الغريب يعرضهُ ڤرجيليوس على قرَّائهِ بابيات من الشعر اللطيف الذي يحبُّ الدارسون استظهارهُ . ولكن هيهـات ان يوافق حسن شعرهِ حقيقة الزعم فانَّهُ نقل دون تروٍّ ما سمعهُ من بعض الفلَّاحين المجاورين لرومية فروى عنهم هذا الخبر جزافاً . واليوم في القرن العشرين يعلم اجهل الفلَّاحين كيف تتوالد النحل وتنشأ الخلايا الجديدة

على انَّ كثيرين حتى من اهل زماننـا المدَّعين بالمعارف لا يزالون يتخيَّلون بانَّ حشرات كثيرة تتولَّد من المزابل والموادّ المتعفنة والمياه الآجنة . واغا يحكمون على حسب النظر البديهي اذ يرون حول جثة متعفنة وكذلك فوق الآجام والمستنقعات الوفا من الذباب والهوامّ . أفيا تُرى هذا تولُّد ذاتيّ . كلَّا مهما توهَّمهُ الجاهل فانَّ هذه الحشرات نشأت من بيضة من نوعها . اما النقاعيَّات والموادّ المتحللة الفاسدة فلو عُقِّمت وحُفظت في عزلةٍ عن الهواء بحيث لا يختلط بها زرع جديد بقيت على حالها دون ان ينشأ عنها حيٌّ مطلقاً لا من الحشرات ولا من العفونيَّات

وما نقولهُ عن هذه النقاعيَّات والاجسام الفاسدة نراهُ اليوم عملاً في تلك اللُّعب

التي تأتينا من اوربّة واميركا كاللحوم والاسماك والحلويات التي تودع في تلك العلب بعد تعقيمها بالحرارة الى درجة تقتل فيها كلّ الجراثيم الحيّة ثمّ تُصان في خلوة من الهواء الناقل للجراثيم الحيّة بحيث لا تستطيع الحشرات ان تمسّها وتدسّ فيها بيضها. ومن ثمّ تُصبح تلك الاطعمة سليمةً غير قابلة للفساد مطلقاً

*

ولهذه الحياة الحيوانيّة صور شتى يمكن الانسان ان يطّلع على بعض فوائدها بان يزور المتاحف التي لنشأتها عواصم البلاد فجمعت فيها اجناس الحيوانات لدرس طبائعها او يدخل في المعاهد الجامعة للحيوانات المصبّرة والمجاميع الحشرات. فانّهُ يرى هناك ما يخلب عقلهُ مع انّ هذه المتاحف لا تستطيع ان تحتوي الّا عدداً قليلاً من تلك الحيوانات ولو امكنهم الحصول على كلّ الحيوانات المعروفة لما كفيت لعرضها المدن فضلاً عن المعاهد فانّ ما يعرفونهُ اليوم من انواع ذوات الفقرات (les vertébrés) وحدها يبلغ ٤٧,٠٠٠ نوع بينها ٨,٠٠٠ من الزحّافات و١٢,٠٠٠ من الاسماك و٢٠,٠٠٠ من الطيور و٧,٠٠٠ من ذوات الاثداء (les mammifères) المتباينة الكبر فبينها ما يبلغ ٣٠ متراً كالحوت (la baleine) او يبلغ ضخماً عظيماً كالفيل الافريقي الذي وصفهُ المرسل الكاثوليكي اوغوارد (Mgr Augouard) فما استطاع قتله الّا بعد رميه بستّ عشرة رصاصة معظمها في رأسه وقد قاس دائرة قائمته فاذا هي تبلغ متراً واحداً ووجد وزن جسمه نحو ألفي كيلو. وبينها ما هو صغير جداً كالفيران

واذا اعتبرنا اصنافاً اخرى من الحيوانات كالهلاميّات (les mollusques) التي لكثير منها أصداف غريبة كالحلزون والمحار فانّ ارباب الطبيعة يعرفون منها ٢٠,٠٠٠ نوع مختلف. وقس عليها اصناف نجوم البحر (Les rayonnés) المتعدّدة الاشكال وذوات الغضاريف (les crustacés) كالسّرطان وحاكة الانسجة (les arachnides) كالعنكبوت

وما قولنا بالحشرات والهوامّ الصغيرة الطائرة المجهّزة غالباً بثلاثة ازواج من الاجنحة او بزوجين او زوج واحد فانّ احد ارباب الطبيعة من الاختصاصيين عدّ ما

يُعرَف منها فبلغ احصاؤهُ عشرة ملايين من الضروب المختلفة (١ . ولا يذهلنا هذا العدد العظيم مع ما نعرف من بعض فصائل الحيوانات فانَّ جنس السوس (les charançons) مثلًا كالسوس الذي يقرض الحبَّ لا تقلّ اصنافهُ المعروفة في عهدنا عن ٦٠٠ نوع

ومن الطبيعيين الذين خصُّوا نفوسهم لدرس دقائق الحشرات التي تمصُّ ورق الاشجار (les eriophydes) فأطلعهم المجهر على ٢٢٧ نوعاً منها في اوربَّة وحدها . ولا شكَّ انَّ بقيَّة اقطار العالم تحتوي انواعاً أُخرى مثلها واكثر منها فتختلف مع اختلاف نباتات كلّ قارة من الارض فيكون مجموع انواع هذه الفصيلة وحدها مشرفاً على الالفين . وكم هناك من الفصائل غيرها

ولعمري لا يخلو مكان من الحشرات فتراها حيثما توجَّهت . هي فوق الارض وفي بطنها على الشجر وعلى كل اوراق النبات في الاخشاب وبين المروج في اراضي الحرث واراضي البور في الحفائر والمستنقعات . اذا قربتَ من الزهور سمعت طنينها واذا نظرت الى طريق رأيتها زاحفةً في جوانبه وان لمستَ غصناً من الشجر وجدتها تتقوَّت منهُ فالحشرات تطير في الهواء وتسبح في الماء وتسير على الرمال وتختفي بين الحجارة وتغوص في الحمأة . فحيناً تركب متن الحيوانات الكبيرة او الطيور متطفلةً وحيناً تقرض لباب الخشب تحت قشرته تارة تثقب نقاية الاخشاب على شكل لولبيّ وتارة تتطلَّف المواد الآليَّة الباقية من النبات والحيوان . فالحياة تعمر وجه الارض وهي في حركة دائمة وتجديد متوالٍ

انَّ العموم لا يعرف من امر الحشرات الَّا ما رآهُ منها بالعيان ويكاد لا يعرف غير أذاها كالدودة في الاثمار والجعلان في البقول والذباب على الطعام والزنبور اللاسع فيبقى عند هذا الحدّ ولا يبحث عن اسرار حياة تلك الحشرات وما من العلاقة بين تلك الاحياء كالعلاقة بين الدودة والفراشة ولعلَّهُ اذا رأى حشرة طائرة ظنَّ أنَّها خرجت من رحم امها مجنَّحة كأبناء الكلاب من الكلبة او كالطائر من بيضته

كلَّا انَّ للحشرات اطواراً عديدة تقطعها قبل ان تبلغ كمال بنيتها ولاهل

---

١) راجع مجلَّة الابحاث (Etudes, t LXXV, p. 648)

سورياً في دود القزّ الذي يربّونهُ مثال قريب يوقفهم على تلك الاطوار فكلّ منهم يعرف بزرتهُ ويعلم انّ هـذه البزرة في وقت معلوم تتحوّل بقوّة الحرارة الى دودة ثمّ تنسج فيلجتها فتصيرهـا بصفة سُرُف (chrysalide) ثمّ تفتح سجنها فتخرج منهُ على شبه فراشة تبزر بزرها السابق ذكرهُ . وما نعلمهُ من احوال دود الابريسم يجري لكل اجناس الفراشات التي تمرُّ في هذه الاطوار الاربعة من بزرة الى دودة الى سُرُف في فيلجة الى فراشة طائرة . لكنّها تختلف في مدّة هذه الاطوار فمنها مـا يقطعها مرّة واحدة في السنة ومنها ما يقطعها مرّتين بل ثلاث مرّات كلّ عام . فتبقى البزرة او الفيلجة في جمودها ريثما تحييهـا الحرارة والرطوبة واحوال جوّية لا تزال مجهولةً فتنتعش البزرة او تنفتح الفيلجة لتطير الفراشة

وفي كلّ هذه الحركات الطبيعيّة اسرارٌ مكنونة لم يكتشفهـا العلماء فيجهلون سبب الفرق الموجود بين الاشكال التي تتحوّل الى فراشة في الربيع والاشكال المتحوّلة في الصيف مع انّها كأنها في احوال متشابهة من الظروف المكانيّة والتقلّبات الجوّية . وكذلك لا يدرون سبب خروج دودة القزّ من فيلجتها بعد ايّام قليلة على خلاف جنس آخر من دود القزّ الاسود الذي يقرض اوراق الاشجار فانّهُ اذا نسج فيلجتهُ بات فيها من شهر حزيران الى الربيع

ومن اسرار هذه الحشرات طعامُها الخاصّ بكلّ من انواعها فانّها تتقوّت امّا من نباتات معلومة قليلة العدد فـلا تتحوّل الى دودة آكلة الّا في وقت ظهور تلك النباتات واماً من حشرات غيرها تجدها ايضاً مهيّأة في وقت حاجتها الى تلك الحشرات عند تحوّل البزرة الى دودة

وانظر يا رعاك الله اختلاف هيئة هذه الحشرة الغريب . فانك اذا رأيتها اوّلاً على شبه دودة قبيحة المنظر ذات قوائم قصيرة على طول جسمها مزدوجة ثمانية ازواج خالية من كلّ جناح او قرون استقبحتَ صورتها مشمئزّاً . ولكن توقّف مدّة ايّام عندها والحظ ما يطرأ عليها من التغييرات ترَ منها العجب . فخذ مثلاً الدودة التي ترعى القنّبيط (الملفوف) وهي دودة مزرقّة فان رقبتَ حركاتها تراها تأكل اوراق القنّبيط بنَهَم مدّة ١٥ يوماً ثمّ تصوم وتعلّق رأسهـا سافلاً الى حجر من الجدار او الى عرد من النبات حتى اذا آن الوقت تشقّق جلد هيئتها الدوديّة وتجرّدت عنهُ كثوب بالٍ

تلقيه لعدم حاجتها اليه فتظهر تلك الدودة في هيئة غريبة تراها ملتصقة بدعامتها من حجر او عود منوطة بها بثلاثة خيوط من الحرير ولا تميز لها الا رأساً ولا ذنباً وانما ترى احد طرفيها محدَّدًا والآخر اعرض مع زوايا ناتئة وهي بلا حراك كأنها ميتة. ثمَّ بعد ايام يتشقَّق هذا الثوب الجديد فتنسلخ منهُ وتظهر في شكل هـامَّة ذات ستّ قوائم طويلة وقرنَيْن ثمَّ خرطوم مستطيل لولبيّ مع عينين مركَّبتين من تقاطيع صغيرة وجناحين متكسرين وان عاينت ذينك الجناحين رأيتهما بعد قليل يمتدَّان وينتشران منتصبين بقوَّة فيتلوَّنان بالوان بيضاء صدفيَّة في وسطها نُكَت سود. وهذا كلهُ يتمُّ باقلّ من ربع ساعة. فليت شعري اين هذه الفراشة البيضاء الحلوة المنظر واسمها في لغة العلم (picride du chou) من تلك الدودة الشنيعة الصورة التي رأيناها تتهيَّم التنبيط

وهناك فراشات عديدة اجمل من هذه الفراشات البيضاء تأخذ بمجامع الابصار لما تزدان به اجنحتها من الالوان الزاهيَة البهية. فمنها صفراء ومنها خضراء ومنها زرقاء ومنها رمـداء. وعلى جناحيها نقوش بديعة وتطاريز من ذهب ولازورد وارجوان وزمرُّد. فكم من مرَّة اذ كنا نفتح عُلَبنا التي جمعنا فيها اشكال الفراشات فينظرها الناس منظَّمةً يصرخون لدى رؤيتها: سبحان الخالق ما اجمل هذه المخلوقات

اي نعم سبحان الخالق الذي يحوِّل دودة كانت تغوص في الزبل والسرقين الى جواهر حيَّة تتلألأ كالدرّ واليواقيت فتطير في الهواء بعض ايام فتقرُّ عين الانسان بنظر محاسنها وهو يراها تتنقَّل من زهرة الى زهرة لتجني منها جناها ثمَّ تفنى بعد ايام لكنَّها تخلف قبل موتها بزرًا حيًّا لكنهُ هامد سوف يكرر كامنهِ الميتة تلك الفصول عينها من الحياة الدوديَّة الى الطيران لا يخلُّ عنها ذرَّة

فليقم الآن المطاردن والزنادقة وليكابروا الحقَّ بقولهم انَّ هذه العجائب انما هي مفعول الصدفة! . اف منكم يا ماجدون أولا تستحيون ان تنسبوا الى الصدفة وجود هذه الخلايا الحيَّة المودعة ضمن بزرة دقيقة تصونها في قشرة مستدقَّة لتخرج منها بعد زمهرير الشتاء دودة من صنف معلوم؟ . او تنسبون الى الصدفة حرص هذه الدودة على الاكل مـدَّة اسبوعين او ثلاثة اسابيع لتنقطع بغتةً عن الاكل وتتحوَّل الى شرنقة؟ او تقولون انَّ من الصدفة ما يحدث في الفياجة مدَّة سُبات الدودة فتتألف

دون عمل منها كل اعضائها على نظام عجيب فتطول قوائمها وتتحدَّد زوايا اطرافها ويتكوَّن فيها ذاك الخرطوم اللولبيّ الدقيق الذي تنفذهُ في اكمام الزهور لتمتصّ منها نقطة من عسلها فتتقوَّت بهِ ؟ . وهذه العيون المتعدّدة التقاطيع وتلك الاجنحة المتلوّنة على اشكال النسيجاء التي تجعل تلك الفراشة اللطيفة كصاغة ثمينة أفيعدُّ الملحدون كل ذلك من عمل الصدفة ؟ هذا فضلًا عن نسبة اعضائها واتقان تركيبها ونظام كل قسم منها وليس ذلك في فراشة واحدة بل في كل فراشات الدنيا بأسرها . فيا لله ما افظع الكفر وما اقبح جنون الكافرين !

واعلم انَّ بين ضروب الفراشات انواعًا عديدة غاية في الدقَّة والنعومة حتى انَّ جامعيها لا يمكنهم ان يغرسوا فيها ادقّ الدبابيس وارفعها فاختاروا لتركيزها في أصونتهم شرائط رفيعة جدًّا من البلاتين يلصقونها على قطع راتينجيَّة . وبين هذه الفراشات الدقيقة ما خُصَّ بأبهى الحلل من الالوان البديعة

نعم انَّ في العالم الفلكيّ ما تحيَّر لهُ العقول وتذهل لهُ الالباب اذا سمعنا العلماء يخبروننا بما اكتشفوا عليهِ في الافلاك كالتأليف المستحدث الذي وضعهُ عالم اميركيّ اثبت فيهِ انَّ ارباب الهيئة وقفوا حتى اليوم بواسطة ادواتهم الفوتغرافيَّة على ٥٨,٠٠٠,٠٠٠ من النجوم ومن المعلوم انَّ كل نجم كشمسنا المنيرة لهُ سيَّارات مثلها لا تستطيع نظَّاراتنا الوقوف عليها . فلا شكَّ ان مكوّن كلّ هذه العوالم اعظم جدًّا سبحانهُ وتعالى اذ يدبّر تلك الافلاك تدبيرًا ينطق بقدرتهِ وحكمتهِ . ولكن اليس هو عظيمًا مجيدًا في هذه الفراشة التي لا يكاد يبصرها النظر مع ما فيها من العجائب في اطوار حياتها وفي تناسق اجسامها وإحكام كل عضو من اعضائها وزخارف الوانها . ولعلَّ كثيرًا منها لم يعرفهُ العلماء بعد فيجهلون بدائع الخالق في تكوينهِ

لا نجهل انَّ مبدع الاكوان قد وضع لعالم الماديات نواميس تجري عليها فاحرز مكتشفوها لهم فخرًا كنواميس الجاذبيَّة العامَّة مثلًا التي تُثبت جلال واضعها . ولكن أيمكننا ان نسهو عن جلالهِ وعظمتهِ اذ نراهُ قد وضع لهذه العوالم نواميس تجري ايضًا عليها دون خلل فانَّها منذ سمعت في بدء العالم من فمهِ تعالى امره بان تتكاثر وتنمو على حسب انواعها امتثلت امر خالقها ولم تزل يتوالد كلّ صنف منها على مقتضى نوعهِ

في ظروف المكان وفصول الزمان وبواسطة الطرائق الغذائيَّة التي عيَّنها لها خالقها ومع اختلاف اطوار حياتها التي سبق وصفها

ولكن لنا ايضاً ما عدا الفراشات التي يُعرَف منها في عهدنا ٦٠,٠٠٠ نوع هوامُّ اخرى مجنَّحة يدعوهـا العامَّة باسم الذبَّان وهي عديدة الاصناف فمنها ذات اربعة اجنحة جلديَّة (hyménoptères) او نصف غلافيَّة (hémiptères) ومنها ذات جناحين فقط (diptères) . ولكلّ جنس اصناف لا تُحصى كأنها خرجت من البيضة الى الحالة الدوديَّة قبل تمام بنيتها وطيرانها

انظر يا رعاك الله الى غدران من الماء الآجن فهناك ضروب من الدود تراهـا تتصاعد الى وجه المستنقع وترفع فوقهُ شبه ذنب مستطيل دقيق . فهذه دعاميصُ او عُرَم (larves) مجهَّزة بهذه الاذناب لتستنشق الهواء ولذلك تراها اذا صعدت على وجه الغدير ترفع بتلك الاذناب لتتنسَّم الهواء . وهكذا تفعل دعاميص البَعُوض التي تُلقي الأمُّ بيضها في الماء

اما الذباب الذي يحطّ على اطعمتنا ولا سيما ما فسد منها فانَّهُ يقضي اوَّل اطوار حياتهِ في السَّماد والزبل فاذا اشتدَّ تحوَّل الى هوامّ طائرة مختلفة الانواع جميلة الصورة ذات ألوان زهيَّة . وكثير منهـا بعد ان نشأ من السرقين يتقلَّب بين الزهور والنباتات العطرة

على انَّ ما ندعوهُ نحن بالنتانات والموادّ الوخمة ليس هو كذلك في اعين الخالق بل في اعين العلماء أنفسهم فانَّهم جميعهم لا يرون في هذه الموادّ سوى مركَّبات كيماويَّة من عناصر صافية نقيَّة تتركَّب وتتحلَّل على حسب النواميس الطبيعيَّة التي وضعها لها مكوِّنها وهو تعالى قد استحسن كلّ ما صنعهُ يوم اخرجها من العدم فليس لدى الله وسخ وقبح سوى الوسخ الادبيّ اي الخطيئـة التي تنزع عن النفس بهاءها الجميل . ولا عجب اذ نرى هذه العناصر المعدنيَّة تتحوَّل من صورة الى أُخرى فتروق لعيننا بعد نفورنا عنها

ومن الحشرات اصناف أُخرى تُدعى بالغمدية الجناح (coléoptères) لانَّ فوق اجنحتها غمدًا صلباً يغطي جسمها كلَّهُ فيصونهُ . فمن ذلك الخنافس والجعلان والسوس والجيزان التي يعرفها الكل مما لا يفي بعددها احصاء وهي على اشكال

والوان شتّى فمنها ما يكون على لون واحد كلون الحديد او لون الذهب او الاحمر القانئ او الاصفر الفاقع او الاسود اللامع كالابنوس . ومنها ما هو كثير الالوان فتجد على بعضها نقوشاً غريبة منسقة تخلب بحسنها البصر . ومن العجب تركيب افواهها وخراطيمها لالتقاط طعامها وكذلك صورة رأسها وجباهها وقوائمها . فللوس مثلاً خرطوم يمتدّ كمثقب مسنّن ولغيرها ممصّات تمتصّ بها قوتها . لبعضها قوائم شبه الكلاليب الحديدية والبعض الآخر قوائم خفيفة او هي عديدة القوائم . لهذه قرون طويلة اطول من جسمها ولتلك قرن واحد في وسط رأسها تتهدّد به معارضيها وربما جُهّزت بقرنين على كتفيها او على جانبي جبهتها

وهذه الحشرات المعدية الجناح تختلف صورتها في اطوار حياتها كالفراشات فهي اذا نشأت كانت دوداً رخواً ينمو في بطن الارض او في المواد المتحللة وفي حبوب الغلال والاثمار نمواً متبايناً على حسب الاجناس واذا بلغ هذا الدود تمام بنيته استحال الى هامّة طائرة وهو لا يعود ينمو في بقيّة ايّام او اسابيع او شهور حياته وفقاً لما قدّرهُ الله من طول الحياة لاصنافه

وقد يوجد حشرات أخرى تتشابه صورتها في اطوار حياتها يدعونها متسارية او متناسقة الاجنحة (orthoptères) كالجراد والصراصر والمالوش . فصغارها تشبه كبارها الّا الاجنحة التي تنبت لها بلوغ جلدها دفعتين او ثلث دفعات فتظهر تامّة الاهبة مثل كبار نوعها

وكلّ هذه الحشرات على اختلاف ضروبها اكثر ما يكون اقبالها على الاكل في طور حياتها الدوديّة فانها كثيرة النَّهم لا تكاد تشبع اكلاً وما تسأط منها على النبّات والكروم والاشجار المثمرة يكون معظم آفتها في وقت غزّها الدودي لأنها حينئذٍ تسعى في زيادة قواها لمعاشها الحاليّ ثمّ لاطوار حياتها التالية

فسبحان الذي جهّز كلّ هذه الحيوانات بما تحتاج اليه لبقاء نوعها وخدمة البشر لأنّ الانسان هو ملك الحيوان وله سخّر الله كل ضروب البهائم كبيرة وصغيرة لتمينهُ على ادراك غايته القصوى من خدمة إلهه في حياته ومن التمتّع برؤياه في الآخرة فيترتّب عليه اذا وجد واحداً منها الشكر لخالقها والاقرار بفضله العميم

محادثات فلسفيَّة في آداب الحريَّة

من خلفة المرحوم الاب انطون رباط اليسوعيّ (تابع)

٥ في الارتباط بين العقل والحريَّة

ان الانتخاب هو فعل الارادة لا العقل. قال ارسطو في كتابه عن الخلقيات (الجزء ٧ الباب ٣) ان الانتخاب هو « اشتهاء ما لدينا » وعلى هذا المبدأ أسَّس القديس توما بحثهُ وأتمَّ قياسهُ بقولهِ: « وانَّما الاشتهاء هو فعل الارادة فكذا الانتخاب ايضاً » (الخلاصة اللاهوتيَّة الجزء ٩ من القسم ٢ المبحث ١٣ الفصل الاوَّل)

ويظهر الامر جليًّا اذا ما تبصَّرنا في غاية العقل فهو قوَّة يدرك بها الانسان الحقائق متى بدت بيِّنةً لأعينهِ فاذا رآها مال طبعاً اليها واضطرَّهُ وضوح حقيقتها عالمًا كان او جاهلًا وليس العقل يستولي على افعاله ولا مندوحة لهُ انْ ينكر « جواز الجائزات واستحالة المستحيلات — كما قال القزويني — كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون في المكانين » طبيعيًّا. ولا أن يقول ان ١+١ لا يساويان ٢ او يجهل ان الخطَّ المستقيم هو اقرب طريق بين موضعين معلومين. فمن وعى الكلام وفهم مضمونهُ لا محيص لهُ من الاقرار بصحَّتهِ وان جهل العلوم الرياضية. وقس عليهِ امثلةً اخرى كثيرة كقولك ان نَفي الشيء لا يساوي ايجابهُ لكن يقابلهُ مقابلة الاضداد فنَعَمْ ليست لَا وليست لَا نَعَمْ. واني لاعجب كيف ان الالماني هيجل (Hegel) ادَّعى في فلسفة جديدة ومنطق بديع ابتدعهما ان نَعَمْ ولَا واحدٌ تمام الوحدة وحاول تأييد زعمهِ بطويل الشرح ومُغمِض اللفظ والمعنى كما هو دأبهُ. فحسبنا في وجهه جواب الماوردي حيث قال: « واما ما كان مبتدئاً في النفوس فكالعلم بان الشيء لا يخلو من وجود او عدم وان الموجود لا يخلو من حدوث او قِدَم وان من المحال اجتماع الضدَّين وان الواحد اقلُّ من الاثنين وهذا النوع من العلم لا يجوز ان يُنفَى عن العاقل مع سلامة حاله وكمال عقله »

ثمَّ اعلم ان الامر لا يُراد الَّا بعد عرفانهِ ذلك مبدأ أجمع الحكماء والمذَّج

على حقيقته » لامتناع ان يكون الشيء موضوعاً للارادة قبل أن يكون قد عُرف بقوة الذهن » كما قال علماء النفس . فالارادة متوسطة بين العقل والفعل الخارج . يعرض العقلُ على الارادة موضوعها فان راق الامر لديها أصدرت الفعل وأمرت القوى الباطنية بانجازه والّا رفضته . ولا بدّ لكمال الفعل الاختياري من معرفة المراد والانتباه لصفاته أحلال هو ام حرام . فاذا انتفت هذه المعرفة وهذا الانتباه لزم انتفاء كون الفعل انسانياً وان كان صادراً عن الانسان ومن ثمّ انتفت المخالفة والخطأ او الطاعة والصلاح الادبي

على ان هذا المبدأ من اهمّ المبادئ في الادبيات اذ عليه تُقاس الاحكام العادلة واليه يرجع كل من أقيم حاكماً على اعمال الناس فكل من عدم العقل حجزته الشرائع الدنيّة لئلّا يتمكن من الاساءة وهو غير مسئول عن عمله فهو والعجماوات في اعماله سواء . ومن أذنب لاضطراب ثورة الغضب مثلا بحركة اولى لا يجازى كمن اتى الاثم عمداً بعدرويّة وكمال تميز وانتخاب . ومن فقد التمييز عمداً بسكر مثلاً او نوم منطيسي او غيره ثم ارتكب الاثم فقد أذنب في فقدانه التمييز امّا ما اقترفه وهو في حالة جهله لما يفعل فقد يُعزى اليه الجرم او لا كما اشرنا اليه سابقاً تبعاً لمعرفته عواقب فعله فان عام وضع كان اثمه ارادياً ضمناً لانهُ سبب العلّة وكلّ عارف بالعلل فقابلٌ لهُ مسئول عنهُ والّا فلا

ومما تقدّم حق لك ان تحكم ايها القارئ اللبيب على ذلك العاتي السابق ذكرهُ فتجزئ ساحة رفيقه الضعيف يوم قيّدهُ وألقى به على الآنية فكسرها وتوجب على خلاف ذلك الذنب على الواضع للعلّة وهو عارف بالعواقب فارادَ من ثمّ العلل

بقي علينا في هذا الفصل ان نقوم بما وعدنا فنبيّن بوجيز العبارة نقلاً عن القديس توما معنى الاستنتاج التالي: « الانسان عاقل . اذاً حرّ »

كما ان معرفة الحق هي موضوع العقل وغايته كذلك السعادة هي موضوع الارادة وغايتها اليها يصبو الانسان بكل جوارحه وان اخطأ بعضهم في حقيقته . فالبخيل يطلب السعادة في حشد الاموال ومحبّ الرفعة في الترقي الى معالي الرتب والمتنعّم في اللذات الحسيّة وكلّهم يطلبون بفعلهم السعادة وهم بذلك ليسوا باحرار ان يرغبوا عنها لكنّهم اخطأوا في وضعهم السعادة غير موضعها . قال القديس توما (في

المبحث الـ١٩ الفصل التاسع من الجزء ١): « لما كانت حقيقة الخير هي حقيقة المشتهى وكان الشرّ مقابلاً للخير فلا يمكن ان يُشتهى شرٌّ من حيث هو شرّ لا بالشهوة الطبيعيَّة ولا بالشهوة الحيوانية ولا بالشهوة العقليَّة التي هي الارادة الّا انهُ قد يُشتهى شرٌّ ما بالعرض من حيث يلزم عنهُ خير ما وهذا ظاهر في كل شهوة لان الفاعل الطبيعي لا يقصد العدم او الدثور بل الصورة التي يقارنها عدم صورة اخرى فانَّ الاسد القاتل الايل يقصد الطعام الذي يقارنه قتل الحيوان وبهذا الزاني يقصد اللذَّة التي يقارنها قباحة الاثم. والشرّ المقارن لخير ما هو عدمُ خير اخر فاذًا ليس يُشتهى الشرّ اصلًا ولا بالعرض الّا اذا كان الخير المقارن لهُ الشرّ يؤثَر بالشهوة على الخير المعدم بالشر »

قال الفيلسوف السامي القديس اوغسطينوس في كتابهِ المسمّى مدينة الله (الجزء الـ ١٩ الفصل الاوّل): « ان غاية خيرنا هو ما يُحَبُّ لذاتهِ ويُحَبُّ ما سواه لاجله ». وقال في باحثه عن الثالوث (١٣ : ٤): « ان جميع الناس مشتركون في اشتهاء الغاية القصوى التي هي السعادة »

وقد شرح القديس توما هذا المقال بكلام واضح حيث قال (الخلاصة اللاهوتية الجزء الاول من القسم الثاني. المبحث الاول الفصل السادس): « ان من الضرورة ان يشتهي الانسان ما يشتهيهِ لاجل الغاية القصوى وهذا ظاهر من وجهين: (اوّلًا) لان الانسان يشتهي كل ما يشتهيهِ باعتبار كونهِ خيرًا واذا كان ذلك لا يُشتهى على انهُ الخير الكامل الذي هو الغاية القصوى فمن الضرورة ان يُشتهى باعتبار توجههِ الى الخير الكامل لان بداية الشيء تتوجّه دائمًا نحو نهايتهِ كما يتضح من مفاعيل الطبيعة ومفاعيل الصناعة ايضًا وهكذا كل بداية كمال تتوجه نحو الكمال التام الحاصل بالغاية القصوى. (وثانيًا) لان شأن الغاية القصوى في تحريك الشهوة كشأن المحرّك الاول في سائر الحركات. ومعلوم ان العلل الثانية لا تحرّك الّا باعتبار تحرُّكها من المحرّك الاول فالمشتهيات الثانية اذن لا تحرّك الشهوة الّا باعتبار المشتهى الاول الذي هو الغاية القصوى »

ولربَّ قائل يقول ان الانسان يريد الغاية القصوى وهي السعادة في كل ما يريدهُ ونحن نرى البخيل يطلب السعادة في حشر الاموال ومحبّ الرفعة في معالي

الرتب والمتنعم في اللذّات الحسية. فعليه يجيب الملفان اللانكي في الفصل السابع: « يجوز ان يراد بالغاية القصوى امران احدهما حقيقة الغاية القصوى والثاني محلّ هذه الحقيقة. فباعتبار الاوّل يشترك الجميع في اشتهاء الغاية القصوى لانّ الجميع يشتهون كلهم القائم به حقيقة الغاية القصوى. واما باعتبار الثاني فليس يشترك الجميع في الغاية القصوى لانّ بعضاً يجعلون الخير الكامل في الغنى وبعضهم في اللذّة وغيرهم في ما سوى ذلك. كما ان الحلاوة يلتذّ بها كل ذوق لكن الألذّ عند البعض هو حلاوة الخمر وعند آخرين حلاوة العسل او نحو ذلك. غير ان الحلو الالذّ مطلقاً ما كان الالذّ عند ذي الذوق الافضل. وكذا الخير فان الاتمّ منهُ ما يشتهيه ذو الميل السليم على انهُ الغاية القصوى ». الى ان قال في الفصل السادس من المبحث الثالث عشر:

« قال ارسطو في الالهيات (الجزء الـ ٩ المبحث الـ ٣): انّ الانتخاب هو فعل القوة النطقيّة وهي تتعلّق بالمتقابلات » ومن ثمّ فليس انتخاب الانسان اضطراريًا لان ما يمكن عدم وجوده ليس واجباً وجودهُ وكون الانتخاب او عدمهُ ممكناً يظهر وجههُ من قدرتي الانسان فهو يقدر ان يريد وان لا يريد وان يفعل وان لا يفعل كما يقدر ان يريد هذا او ذاك. وتحقيق ذلك من قدرة العقل فان كل ما يقدر العقل ان يتصوّر فيهِ خيرًا امكن للارادة ان تميل اليهِ والعقل يقدر ان يتصور الخير لا في الارادة او الفعل فقط بل في عدم الارادة وعدم الفعل ايضاً. ثمّ انهُ يجوز في كل خير جزئي اعتبار وجود خير ما وعدم خير ما وهذا يتضمّن حقيقة الشر وبهذا الاعتبار يجوز انتخابه او اجتنابه وليس يستحيل على العقل ان يتصوّر شرًا او عدم خير الّا في الخير الكامل الذي هو السعادة واذ كان الانسان يريد السعادة اضطرارًا ليس في قدرته ان يريد ان لا يكون سعيدًا ويكون شقيًا. واذ كان الانتخاب لا يتعلّق بالغاية القصوى بل بما يؤدّي اليها لم يكن يتعلق بالخير الكامل الذي هو السعادة بل بغيره من الخيرات الجزئيّة فلم يكن الانسان منتخباً [هذه الخيرات الجزئيّة] اضطرارًا بل اختيارًا »

٦ في سلطة الارادة الحرّة وحدودها

قلنا ان الانسان ربُّ اعماله ومبدأها الاختياري عنها يُسألُ سرًّا وعلناً واثبتنا هذه العقيدة الدينية والحقيقة الطبيعية والادبية معاً بشواهد نيّرة أيدت القارئ

الاريب في شعوره ومعتقده بالحريّة الانسانيّة وبدّدت عن بصيرته دياجي اهل السفسطة ان كان اصغى قطّ لاحاديثهم وقرأ مقالاتهم وسنعود على هذه الاقاويل فنفنّدها ان شاء الله. لكنّا بقي علينا الان ان نبحث في صفات السلطة الاختياريّة هل تسطو عليها مثلًا قوّة تتمكن من قسرها بالرغم عنها وما حدود هذه القوة الارادية وعملها في اخضاع غيرها من القوى النفسانية او الجسدية واخيرًا ما العلاقات الوديّة او التعادي والحروب بينها وبين الشوق الحسي. تلك مشاكل تهيّئنا معرفتها سأبذل الجهد في حلّها في فصول موجزة

القسر هو القهر والإكراه على العمل فمعنى الشكل الاول هو هل تُقسَر الارادة الحرّة اي هل تقهرها ارادة اخرى وتكرهها بالرغم عن اختيارها على إصدار فعل او منعه. ذلك سؤال ذو نتائج جمّة على انّا قبل الجواب عليه لا بدّ لنا من النظر في انواع الفعل الاختياري فان للارادة فعلَين احدهما يصدر عنها مباشرةً ويتمّ في سرّ القوّة الارادية نفسها كفعل الحبّ الباطني مثلًا الذي ينجم عن الارادة المتعمدة بقدر معرفتها العقلية للموضوع. والثاني تنجزه بامر الارادة قوى الانسان العقليّة او البدنيّة لا المنزجة كفعل التفكّر الصادر بامر الارادة عن قوة العقل الباطنيّة وكالمشي والتكلّم الصادرين بامر الارادة عن القوة المحرّكة وهي قوة خارجيّة وكالخيال الحسّي على انواعه وهو من سداء المركّب الانساني. ومثال ذلك اني أقصد ان ابغض الشيطان الرجيم قلبيًا دون أن التفظ ببنت شفة ذلك فعل صادر عن الارادة بلا واسطة ومن غير تخلّل عِلّة اخرى في ذات مباشرته خلا الارادة

ومثال الآخر اني اريد ان اعلن بمكارم الله وادعو الناس الى طاعته ولهذا ارغب في اكتساب الفكر عساني انفع ابناء جلدتي فأكبّ على درس العلوم الادبيّة فدرسي هذا وتفكّري فعل عقلي صدر عن القوة العقليّة بامر الارادة. ولا اكتفي بهذا وذاك لكني اهجر الاوطان العزيزة فاقطع البحار واسير الى بلاد بعيدة للعلم رغبةً في اكتناز المعارف والاداب فهذه المساعي كلها افعال صادرة عن القوة المحرّكة بامر الارادة

واذا عرفت هذا الفرق بين الافعال الاصدارية والافعال المأمورة من الارادة قلنا: اوّلًا ان الافعال الخارجيّة المأمور بها من الارادة يمكن قسرها وقد تُقسَر

وتُكره بقوة خارجيّة لانها آلات جسمانيّات فمن قيّد طالب السفر الى البلاد مثلاً والقى به في مطمورة تعذّر عليهِ انجاز ارادته الباطنة فقُهر بالرغم عنهُ لان قدرة الارادة الحرّة على اعضاء الجسم الظاهرة قدرةٌ طبيعيّة يتوقف انجاز اوامرها لا على قوة النفس فقط بل على استعداد الآلة الجسمانيّة ايضاً كتوقُّف الابصار على القوة البصريّة وعلى حالة العين التي تساعد عليهِ او تعوق عنهُ وكذا فعل القوى الظاهرة كالسير والمشي متوقف على استعداد البدن وهذا امر بيّن لا حاجة للاطالة في شرحه

ولمّا كان هذه القسر غير اختياري كان العمل غير اختياري حيث ان ما من احد يؤثم في ما أُكره عليهِ. هذا ما حدث للمازار الشيخ الجليل حيث قصد المتعصب اكراههُ على أكل اللحم المحرّم فاختار ان يموت بجيدًا على ان يحيا ذميماً وانقاد الى العذاب طائعاً كما ذكر سفر المكابيين الثاني الفصل السادس وهذا ما كاد يحدث مع رفيق جبّارنا كما قلناه في محاورتنا فلمّا أُكره وجرّ بالرغم عنهُ ما كان المسئول عن عمله

اما افعال العقل واحكامه على المواضيع فليس فيها قسر للارادة لكن بالاحرى هي سبب للارادة الاختياريّة كما قدمنا اللهمّ اذا استثنينا الخير الكامل والخير المجرّد. قال القديس توما (المبحث العاشر الفصل ٢ في الجزء الاول من القسم الثاني): «ان الارادة تتحرك على نحوين: احدهما باعتبار مزاولة الفعل والثاني باعتبار تخصصه من جهة موضوعه. فباعتبار الاول لا تتحرّك الارادة من موضوع بالضرورة لجواز ان لا يفتكر مفتكر في موضوع فلا يريدهُ بالفعل. ولمّا باعتبار الثاني فتتحرّك بالضرورة من بعض الموضوعات دون بعض اذ لا بدّ في تحرّك القوّة من موضوعها من اعتبار ما به يحرك الموضوعُ الارادةَ فان المرئيّ يحرّك البصر باعتبار اللون المرئي بالفعل فمتى عُرض اللون على البصر حرّكه بالضرورة ما لم يتحوّل عنهُ وهذا يرجع الى مزاولة الفعل واما متى عرض على البصر شيءٌ ليس متلوناً بالفعل من جميع الوجوه ولكنهُ متلون بالفعل من وجه وغير متلون بالفعل من وجه آخر لم يبصره البصر بالضرورة لجواز ان يتعلّق بهِ من حيث لا يكون متلوناً بالفعل فلا يبصره. وكما ان المتلون بالفعل هو موضوع البصر كذلك الخير هو موضوع الارادة فمتى عرض على الارادة موضوع هو خير كلّي ومن كل وجه توجّهت اليهِ بالضرورة اذا زاولت فعل الارادة لامتناع ارادتها ما يقابله واما متى عُرض عليها موضوع ليس خيراً من كل وجه

فلا تتوجه اليه بالضرورة ولما كان الخلو عن خير ما متضمناً حقيقة عدم الخير كان ذلك الخير الذي هو كامل ومستجمع كل خير هو وحده الخير الذي يتعذر على الارادة ان لا تريده وهو السعادة واما سائر الخيرات الجزئية فمن حيث تخلو عن خير ما يجوز اعتبار انها ليست خيرات وبهذا الاعتبار يجوز ان ترفضها الارادة او تقبلها.»

وان سألت هل تتمكن الارادة من انجاز الافعال التي تأمر بها الارادةُ العقلَ؟ قلنا ان التفكر وان كان باطنياً لكنهُ متوقف عادةً في سيره واستخلاصه للمعاني على قوى النفس الشتركة وعلى استعداد البدن ايضاً فمن تمكنت فيه رعدة الحمّى او تقلّب على فراشه ينوء تحت الاوجاع الماضية منعته التأثيرات الالية عن إعمال الفكر في المباحث الدقيقة التي تستلزم القوة العقلية بكمالها وما هذا الّا للارتباط المتين الكائن بين النفس والجسد اذ يؤثر الواحد بالاخر تأثيراً بليغاً فان أُصيب الجسد بداء توقفت النفس عن افعالها الباطنيّة كليًا او جزئياً وان أُصيبت النفس بالم او حزن او اضطراب تحمّل الجسد شيئاً من مصابها فنحف ونحل

واذا نظرنا في ساطة الارادة على العقل رأينا انها باطلة من طرف وقديرة من طرف اخر فانها باطلة في المبادئ الاولى كما قلنا. ولكن ما خلا هذه المبادئ الاولى هناك حقائق جمّة لا يتّصل الانسان الى معرفتها الّا باعمال الفكرة فاذا فعل بانّ الله الحقّ جليًا لكنهُ قد يكون لهُ في معرفة هذه الحقائق شرع او فرض يضادُّ ما تتوق اليه اهواؤهُ وشهواتهُ وهو قليل الهمّة راغب في اتباع مشتهاه وان كان لهُ فيه هلاكه فيتجاهل بوجوب الشريعة بل ويدل عليها ستراً لمِلّه يتمكن من اطفاء نورها فيجعل دأبه النظر الى اعاليل باطلة يتمسّك بها وهو في اضطراب في بادئ امره ويطلق العنان لذميال حتى اذا ما انحدر في دركات اللذّات البهيمية وانحطّ الى قعر لجتها جعل ينكر ما هو خير لكل من لم تُنشِ سحبُ الاهواء بصيرتهُ « وقال للشر خيراً وللخير شراً وجعل الظلمة نوراً والنور ظلمة (اشعيا ٥ ع ٢٠) » حتى يكاد يوقن انهُ لم يأتِ إثماً بل هو مُصيب في انكاره مبادئ الدين والاداب. هذا ما نراه والعين منا دامعة والقلب آسف في كثير من شبّان عصرنا وكأني بصاحب الزبور ارادهم بقوله (١٣ : ١) : « قال الجاهل في قلبه ليس اله » ثم بيّن سبب مدعاهم : « فسدوا ورجسوا باعمالهم فليس من يصنع الصلاح » فان شئت ان تعجم عودهم

رأيت « ان تحت العظام داء دوياً » فباستئصال الداء لهم الشفاء ليس الّا

امّا افعال الارادة الإصدارية فهي منزهة عن كل قسر وقهر البتة. قال القديس اوغسطينوس في مدينة الله (الكتاب الخامس الباب العاشر): « ان الحادث بالارادة لا يحدث بالضرورة وكل ما يحدث قسراً فانهُ يحدث بالضرورة فاذاً ما يحدث بالارادة يمتنع حدوثه قسراً فاذاً يمتنع قسر الارادة على الفعل »

وزاد القديس توما (المبحث السادس الفصل الرابع): « ان فعل الارادة انما هو ميل صادر عن مبدإ داخليّ مدرك كما ان الشهوة الطبيعيّة ميل صادر عن مبدإ داخليّ دون ادراك والشيء القسري او الاكراهي يصدر عن مبدإ خارجيّ فاذاً كون فعل الارادة قسرياً او كرهياً لمّا ينافي حقيقتهُ كما ينافي حقيقة ميل الحجر الطبيعي او حركته الطبيعيّة الذهاب صُعُداً فان الحجر يمكن ارساله صُعُداً بالقسر لكن يستحيل صدور هذه الحركة القسريّة عن ميله الطبيعي (١ وكذا ايضاً يجوز جذب الانسان قسراً الّا ان صدور ذلك عن ميله الطبيعي ينافي حقيقة القسر »

قال القديس انسلموس في الحريّة (عد ٦): « ما من احد يريد الامر كرهاً عن ارادته اذ ما من احد يقدر ان يريد وهو لا يريد »

وهل تقسر الارادةَ قوةٌ غير منظورة؟ نجيب ان الله قدير على كل شيء يصنع ما يشاء. اذا اراد شيئاً قال: كن فيكون. لكن عنايتهُ الالهيّة ليس من شأنها ان تفسد طبيعة الكائنات بل ان تحفظها على انهُ عزَّ وجلَّ وان كان المحرّك الاول الكل المخارقات كما يقول المنطقيون فهو يحرّك كل شيء بحسب طبيعته فالعلل الضرورية تتحرّك بعنايته الى اصدار معلولات ضرورية والعلل الحرّة تتحرك بها الى اصدار معلولات حرّة فالانسان خلقهُ الله حرّاً يختار عمله بلا معارض فلا يحسن بهِ عزَّ وجلَّ ان يهدم بيده ما بنتهُ يمناه. وسنبحث في ما سيأتي في كيفية الارتباط الكائن بين الارادة الالهيّة وبين الحريّة

وان كان الله وهو الرب القدير الرحيم لم يشأ ان يقسر حريتنا ولو في سبيل الخير والاصلاح فانهُ ولا شك لم يعطِ الشيطان الرجيم قدرة فيها تمكّنهُ من قهر حريتنا

---

(١) هذا تبعاً لمبادئ الاقدمين في النقل والاجتذاب

واسرنا وهلاكنا لانّ هذا ممّا يضادُّ رحمته وحكمته تعالى. وزد على ذلك ان روحنا لا يطول اليها الشيطان الّا بالقوى الحسية وليس في قوانا الحسية قسرٌ لارادتنا

اجل انك ان مكّنتَ الشيطان من بدنك وقواك سرتَ قيد ما يبتغيه وكانت اللجّة غايتك لكنّك اذا فعلتَ ذلك تفعلهُ عن ارادة واختيار

ارادتُك هي دولتك ومملكتك انت فيها السيد المطاع لا يمنعك عن انجاز ما ترآى لك جورُ ظالمٍ ولا قسرُ قاهرٍ فانتَ بارادتك الحرّة تقدم على الخير فتنال الثواب او تسير وراء الشرّ فتكون مستحقًّا للعقاب. هذا هو مقدسك لا تسطو عليه قوة مخلوقة أيّة كانت بل ولا القدرة الالهيّة نفسها ولا تنتهك فيه حماك قدرة دينيّة ولا سلطة مدنيّة ولا عذاب ولا موت. بهذه الحرية تحطّم ملايين من شهداء النصرانيّة على كرور الاجيال في انحاء الارض جمعاء. فلم يردعهم عن صدق ايمانهم وعد ولا وعيد ولم يعدل بهم عن صدق الشهادة حيف الظالمين فضُربوا وجُلدوا وعُذّبوا ومُثّل بهم وأُحرقوا وهم على صدق اليقين وحسن الشهادة ثابتون لا يكفرون بمعبودهم

لكن مالنا وهذه الاخبار القديمة العهد وقد يستشهد كل يوم مئون والوف من النصارى دفاعاً عن دينهم في الصين وجزائر الاوقيانوس وغيرها من البلاد. دونك اواسط افريقية غير بعيد عن الاماكن التي عادت منذ سنين قليلة تحت قبضة أولي الامر في البلاد المدرية ترى فيها قوماً من هولاء الزنج الذين سخر ولا يزال بامر الرقيق يسخرون بحريتهم وارواحهم فهولاء عرفوا في عهدنا حقيقة الدين النصراني فحرّرهم ونزعوا عن عبادة الانصاب والاوثان واعتنقوا الدين القيّم القويم واذ عاث قوم كفرة في ارضهم وتملكوا عليها وارادوا قهرهم على الكفران والعودة الى الاوثان آثر جميعهم الموت على الحياة كبارًا وصغارًا شيوخاً واطفالاً عجائز وفتيات وماتوا موتاً شريفاً احرارًا وان سامهم الظالمون حيوانات انسانيّة وُجدت الرق والعبودية. ان هذا لعمرُ الحق برهان ثابت يتلألأ من خلاله نور الحرية وعظمة الطبيعة الانسانيّة (لهُ بقيّة)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الخامس

في الامثال العربية المنقولة عن الاسفار المقدسة

يعرف القرّاء ما كان للامثال الدارجة من الشهرة والاعتبار بين عرب الجاهلية فانهم اودعوها اخبارهم وضمّنوها حكمهم وكانوا يُحلّون بها صدور مقالاتهم ويُدرجونها في خطبهم وينظمونها في اسلاك قصائدهم وينقلونها في انحاء جزيرتهم حتى ضُرب المثل في سيرها فقالوا: أسيَر من مثل . وانما فضّلوها لاربع فوائد وجدوها فيها كما قال احدهم: اجتمع في المثل اربعة لا تجتمع في غيره من الكلام ايجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية . وهذه الخواصّ تنطبق كلها مع غرائز العرب واطباعهم اذ عُرفوا بالرزانة والتروّي في الكلام وايراد الحكم البالغة باللفظ الوجيز . وقد اشار صاحب سفر الملوك الثالث الى حكمة العرب هذه عند كلامه عن حكمة سُليمان وقد سلّمهم هناك باهل الشرق فقال (٤ : ٣٠) : « ففاقت حكمة سليمان حكمة جميع اهل الشرق » ثمّ ذكر بعض العرب المشهورين بذلك

ولمّا ظهر الاسلام واخذ اللغويّون يجولون في احياء العرب ليجمعوا شعرهم ومآثرهم الادبيّة جعلوا لامثالهم شأناً عظيماً . وكان اوّل من اخذ بجمعها عبيد بن شريّة وصحار العبدي كانا في عهد الخليفة معاوية بن ابي سفيان ولكليهما كتاب في الامثال واشتهر بعدهما المفضّل الضبّي في اوائل الدولة العبّاسيّة وقد طُبعت امثاله في الاستانة ثمّ تبعهُ ابو عبيد القاسم بن سلام ولهُ كتاب الامثال السائرة ثمّ الاصمعي وابو زيد وابو عبيدة النحوي ثمّ هشام الكلبي صاحب كتاب امثال حِمير ثم ابن الاعرابي ولهُ تفسير الامثال وابن قتيبة مؤلف حكم الامثال ثم العسكري مؤلف

جمهرة الامثال حتى قام الميداني شهاب الدين احمد النيسابوري (ت ٥٣٩هـ=١١٤٥ م) فوضع كتابهُ مجمع الامثال وضمّنهُ نيفاً وستّة الاف مثل جمعها من اكثر من خمسين كتاباً ورتّبها على حروف المعجم (ونحن نشير في كلامنا الى طبعة بولاق سنة ١٢٨٩)

وقد راجعنا ما تيسّر لنا من هذه المجاميع لعلّنا نقف على اصول تلك الامثال فوجدنا عدداً منها نُقل بلفظهِ او بمعناهُ عن اسفار العهدين القديم والحديث ما يدلّ على انّ قائليها عرفوا كتب النصارى المنزلة وخالطوا النصارى ولعلّ قوماً منهم كانوا نصارى فلم يصعب عليهم ان يضربوا الامثال نقلاً عن كتب كانوا يسمعونها في مجتمعاتهم الدينيّة

وها نحن نورد هنا هذه الامثال اثباتاً لقولنا ونشير الى الآيات الكتابيّة المأخوذة عنها. ولم ننقل غير الامثال الراقية الى عهد الجاهليّة او اوائل الاسلام ما يدلّ على هذا النفوذ النصراني بين العرب ونقسم هذا الفصل اربعة اقسام

١ انّ بين الامثال العربيّة قسماً كبيراً ورد على صورة أفعل التفضيل ذكرهُ الميداني في آخر كل باب من حروف المعجم. وهذه الامثال مبنيّة على ما خُصّت بهِ المواليد الطبيعيّة من الصفات اللازمة لها كنور الشمس وحلاوة العسل وشجاعة الاسد. فهذه الامثال التي نُقلت عن العرب ليست خاصّة بهم وقد سبقهم الى استعمالها اصحاب الاسفار المنزلة في العهدين القديم والحديث سواء قيل انّ العرب استعاروها من تلك الاسفار او انّهم اوردوها بمجرّد نظرهم الى الطبيعة

فمنها امثال مبنيّة على الطبيعة الجامدة كالفلك وظواهر الجوّ والمعادن نذكر هنا ما عثرنا عليهِ من ذلك. يقول العرب: احسن من الشمس والقمر (الميداني ١: ٢٠١) وابهى من القمرين (م ١: ١٠١) واشهر من البدر (م ١: ٣٤٣) واثقب من النجوم وارفع من السماء (م ١: ٢٧٨) وأبيّن من فلق الصبح (م ١: ١٠٣) وأنور من وضح النهار (م ٢: ٢٦٢) فهذه الامثال قد سبق اليها كلّها الكتاب الكريم مثال ذلك قول سفر الحكمة (٧: ٢٩) عن الحكمة: «انّها ابهى من الشمس واسمى من كل مركز للنجوم واذا قيست بالنور تقدّمت عليهِ» وكقول ابن سيراخ (١٧: ٣٠): «اي شيء اضوأ من الشمس» وكقول سفر الاناشيد (٦: ٩): «من هذه المُشرفة كالصُّبح الجميلة كالقمر المختارة كالشمس»

ويقول العرب آكلُ من النار (م ١ : ٧٤) وقال لشعيا النبيّ قبلهم (٣٠ : ٢٧) : « هوذا اسم الربُ يأتي من بعيد . . . وشفتاهُ مملوّتان سخطاً ولسانهُ كنار آكلة » . وضربوا المثل في سرعة البرق (م ١ : ٣١٥) وقال الربُّ قبلاً في الانجيل عن سقوط ابليس من السماء (لوقا ١٠ : ١٨) : « اني رأيتُ الشيطان ساقطاً من السماء كالبرق »

ومن امثالهم في الحسن : « احسن من الدُّمية » (م ١ : ٢٠٠) وكان داود قال في مزاميره (١٤٤ : ١٢) : « انَّ بَناتنا كاعمدة الزوايا مزيَّنات كدُمية هيكل »

وقد ضربوا المثل بصلابة الصخر فقالوا : « أقسى من صخرة ومن حجر » (م ١ : ٦٢) واليس من صخر (م ٢ : ٣٢٢ وارسب من حجارة (١ : ٢٧٨) ومثلهُ في اشعيا (٥٠ : ٧) عن ثبات المسيح بازاء اعدائهِ : « السيد الرب ينصرني لذلك لم اخجل بل جعلتُ وجهي كالصوَّان » وقال موسى في تثنية الاشتراع (٨ : ١٣) لبني اسرائيل عن الرب : « انهُ اخرج لك الماء من صخرة الصوَّان » وقد اشار السيد المسيح الى ثبات بيعتهِ إذ دعا رسولهُ بطرس الهامة بالصخرة وأكَّد لهُ انهُ « يبني بيعتهُ على تلك الصخرة فلا تقوى عليها ابواب الجحيم » (متَّى ١٦ : ١٨) . ويشبههُ مثل العرب في ثقل الرصاص فقالوا : اثقل من الرصاص (م ١ : ١٣٨) وارسى من الرصاص (م ١ : ٢٧٨) وقد شبَّه موسى قبلهم غرق المصريين في البحر بالرصاص (خروج ١٥ : ٥ و ١٠) : « غطَّتهم اللُّجج فهبطوا في الاعماق كالحجارة . . . وغرقوا كالرصاص في عمر المياه » وكذلك قولهم : " اثقل من طَوْد » (م ١ : ١٣٨) وقد شبَّه الملك داود في الزبور (١٢٤ : ١) المتَّكلين على الرب « بجبل صهيون الذي المتزعزع الثابت الى الابد »

ومما ضربوا فيهِ الامثال من الجمادات بُرودق السهم ومضاء السيف وحدَّةُ الموسى وعدل الميزان وسحابة الصيف وحلاوة العسل وشهوة الخمر وحقارة الارض فقالوا : « أمرَق من السَّهم » (م ٢ : ٢٣٣) وامضى من السيف (م ٢ : ٢٣٦) وأحدُّ من مُوسى (م ١ : ٢١٢) واعدل من ميزان وأخلف من سحابة صيف وأحلى من العسل (م ١ : ٢٠١) واشهى من الخمر (م ١ : ٣٤٢) واحقر من التراب (م ١ : ٢٠٢) . وكلّ ذلك قد شبَّهت بهِ الكتب المقدَّسة فقال اشعيا (٤٩ : ٢) « جعل (الربّ) في كسيفهِ ماضٍ . . وجعلني سهماً مختاراً وفي جعبتهِ ستَرني » وقال بولس الرسول

في رسالته الى العبرانيين (٤ : ١٢) : « انَّ كلمة الله هو حيّ عامل أمضى من كلّ سيف ذي حدَّين » وقال داود النبيّ (مز ٤٤ : ٦) : « نبالك مسنونة ... هي في قلوب اعدائك » وقال ايضاً (مز ٥٢ : ٤) في الرجل الظالم : « لسانك يحترع الظلم عاملاً بالغش كالموسى المسنونة » وقال موسى في عدل الميزان (احبار ١٩ : ٣٥-٣٦) : « لا تجوروا في الوزن والكيل بل موازين عادلة وعيارات عادلة تكون لكم » وقد شبَّه القديس يهوذا في رسالته (١ : ١٢) المنافقين بالسحابة المخلّة فقال : « هؤلاء سُحب بلا ماء تحملها الرياح » . اما حلاوة العسل فتكرَّر ذكرها في الكتاب المقدَّس قال ابن سيراخ عن لسان الحكمة (٢٤ : ٢٧) : « انَّ روحي احلى من العسل وميراثي ألذ من شهد العسل » وقال صاحب المزامير (١٨ : ١١) : « خشية الربّ اشهى من الذهب والابريز الكثير واحلى من العسل وقطر الشهاد » . وقال في سفر نشيد الانشاد في شهوة الخمر (١ : ٣) : « نفرح ذاكرين حبّك الذي هو اطيب من الخمر » . وقال في المزامير (١١٢ : ٧) في حقارة التراب : « انَّ الربّ يُنهض المسكين عن التراب ويقيم البائس من المزبلة ليجلسه مع عظماء شعبه »

وكما سبقت الكتب المقدَّسة العربَ في امثالهم المنقولة عن الجماد كذلك تقدَّمتهم في استعارة الامثال عن الحيوان وميزاته . فمن ذلك ضربهم المثل بشجاعة الاسد فقالوا : « اجرأ من قسورة ومن ذي لبد » (م ١ : ١٦٤) واشجع من أسامة واشدّ من أسد (م ١ : ٣٤٣) . وقال قليهم بقرون عديدة صاحب سفر القضاة (١٤ : ١٨) : « اي شيء احلى من العسل واي شيء اشدّ من الأسد » . وقال في سفر الامثال (٢٨ : ١) : « الصدّيقون كشبل يطمئنّون » . وقال يعقوب في نبوءته على يهوذا (تك ٤٩ : ٩) : « يهوذا شبل اسد ... جثم وربض كأسد وكلبؤة فمن ذا يقيمه »

وضربوا المثل في ظلم الذئب وعداوته وفي خبث الثعلب فقالوا : « أظلم من ذئب » (م ١ : ٣١٢) وأعدى من ذئب (م ١ : ٤٣٠) وأسلط من سلقمة وهي الذئبة (م ١ : ٣١١) وأروغ من ثعالة . قال طرفة : « كأنهم اروغ من ثعلب » (م ١ : ٢٧٩) . وتقدَّمهم الكتاب الكريم فقال يعقوب (تك ٤٩ : ٢٧) : « بنيامين ذئب يفترس » وقال السيّد المسيح لتلاميذه (لو ١٠ : ٣) : « ها انا ارسلكم مثل خراف بين ذئاب » وقال ايضاً (متى ٧ : ١٥) : « احذروا من الانبياء الكذبة الذين

يأتونكم بلباس الحملان وهم في الباطن ذئاب خاطفة » وقد شبَّه لذكره المجد هيرودوس بالثعلب لخبثه (لو ١٣ : ٣٢) . وقالوا على خلاف ذلك : « اذلُّ من النَّقد » اي الغنم . وقال اشعيا يصف وداعة المسيح بازاء اعدائه (٥٣ : ٧) : « كشاة يساق الى الذبح وكحمل صامت امام الذين يجزُّونهُ »

وقد ضرب العرب الامثال في الفرس وسرعته وشدَّته وكرم طباعه فقالوا: « أجود من الجواد البِرّ » (م ١ : ١٦٧) وأسرع من فريق الخيل (م ١ : ٣٠٧) وأشأى من فرس واشدّ من فرس (م ١ : ٣٤١) . وقد وصف الكتاب الكريم الفرس بكل هذه الصفات في آيات شتى ولا سيما في وصف سفر أيوب (٣٩ : ١٩ — ٢٥) : « أأنت الذي يؤتي الفرس قوَّة ويقلد عنقهُ رعدًا . . . »

وكذلك ضربوا الامثال في الكلب وفي الوس وفي النملة فقالوا: « آلف من كلب (م ١ : ٧٥) وأطوع من كلب (م ١ : ٣٨٧) وأحرص من كلب على جيفة (م ١ : ٢٠١) وقالوا: « آكل من الوس (م ١ : ٧٤) ووصفوا النملة بالحرص فقالوا: أجمع من النملة (م ١ : ١٦٦) وأكسب من نملة وذرَّة (م ٢ : ٩٨) واحرص من نملة (م ١ : ٢٠٢) . وفي الكتب المنزلة اوصاف مثلها جاء في سفر طوبيا (٦ و ١١) وصف ألفة الكلب . وقال اشعيا يصف رقباء اسرائيل وطمعهم (٥٦ : ١١) : « كلاب نهمة النفوس لا تعرف الشبع » . وقال في سفر الامثال (٢٥ : ٢٠) عن الوس والعث : « كالعث في الثوب والوس في الخشب هكذا الكآبة في قلب الرجل » . وقال الرب لتلاميذه (متى ٦ : ١٩) : « لا تكنزوا لكم كنوزًا على الارض حيث يفسد الوس والآكلة وينقب السارقون فيسرقون » واما النملة وحرصها على جمع الطعام فقد المع اليها سفر الامثال بقوله للكسلان (٦ : ٦) : « اذهب الى النملة ايها الكسلان انظر طرقها وكن حكيمًا »

ومن امثالهم في الطيور ما قالوهُ في منعة العقاب وسرعة طيرانه وحدَّة بصره وفي عمر النسر وفي ألفة الحمام ونهم الجراد: « اعزّ من عقاب الجوّ » (م ١ : ٤٣٧) وأبصر من عقاب مَلاع (م ١ : ١٠٠) وأعمر من نسر (م ١ : ٤٣٤) وآلف من حمام (م ١ : ٧٥) واجرد من الجراد (م ١ : ١٦٧) . وكذلك ورد في الكتب المنزلة عن منعة النسر قول ايوب (٣٩ : ٢٧) : « أبأمرك يحلق النسر ويجعل وكره

في الملاء مسكنهُ الصخر وفيهِ مبيتهُ وعلى انف الصخر معقلهُ من هناك يبحث عن قوتهِ وعيناهُ تنظران من بعيد » وقال داود في رثائهِ لشاول ولوناتان (٢ ملوك ١ : ٢٣) : « أسرع من النسور واشدّ من الاسود » . وقال السيد المسيح ممثلاً بوداعة الحمام (متى ١٠ : ١٦) : « كونوا ودعاء كالحمام » . ثمّ في تشبيهِ الاشتراع (٢٨ : ٣٩) يتهدّد الرب شعبهُ « بالجراد القارض »

وقد قالوا في الحيَّة والافعى : « اظلم من حيَّة واظلم من أفعى » (م ١ : ٣٩١) واعدى من الحيَّة (م ١ : ٢٩١) . ومثل هذا في سفر ايوب يصف المنافق (٢٠ : ١٦) : « يرضع سُمَّ الأصلال فتقتلهُ لسان الأفعى » وفي الكتب المقدّسة آيات كثيرة تشير الى خبث الحيَّة وسمّها القاتل . وفي الانجيل الكريم (متى ١٠ : ١٦) : « كونوا حكماء كالحيَّات » قال ذلك لأنَّ الحيَّة تحرص على رأسها لئلّا تصاب بأذى فتصونهُ دون جسمها . ولعلَّ العرب ارادوا ايضاً ذلك بقولهم « أعدى من الحيَّة » يريدون العَدْو اي السرعة لتسرّعها الى جحرها لتنجو من العدو . هكذا شرحها الدميري في حياة الحيوان (١ : ٣٢٠) بخلاف الميداني الذي اشتقّها من العداوة والظلم . وقد روى ابن قتيبة هذا المثل في عيون الاخبار (ed. Brockelmann, p. 439) على صورة اخرى فقال : « الحلم من الحيَّة » ثمّ روى (ص ٤٦٠) كلام الانجيل هكذا : « انَّ المسيح (عم) قال للحواريين : كونوا حكماء كالحيَّات وبُلهاً كالحمام »

*

٢ ومن امثال العرب الدالّة على اختلاطهم باهل الكتاب وعلى الاخصّ بالنصارى ما رووهُ منسوباً الى الانبياء او الى مشاهير رجال العهد القديم والجديد وقد جاء اشياء كثيرة من ذلك في كتاب الامثال للميداني (م) وقد صنَّف ابو منصور الثعالبي كتاباً جليلاً في هذا المعنى دعاهُ « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » في مكتبتنا الشرقيَّة منهُ نسخة حسنة وقد طُبع في مصر طبعاً سقيماً سنة ١٣٢٦ نشير اليهِ بحرفي « مض » ونتّبع زمن التاريخ مباشرةً بآدم

(آدم) عرفوهُ بابي البشر وضربوا بهِ المثل بالشهرة (مض ٢٩) وبالقِدَم (اطلب الصفحة ٢٨٣) = (أنوش) هو ابن شيث ويدعى احنوخ ينسب اليهِ العرب الآثار القديمة والخطّ فقالوا : « انَّما خدَشَ الحدوشَ أنوشُ » م ١ : ١٥) » =

(نوح) ذكروا سفينة نوح وغراب نوح وغُمر نوح (م ض ٢٩ — ٣١ اطلب ص ٢٨٥) = (ابراهيم الخليل) ذكروا (م ض ٣١ — ٣٤) « مقام ابراهيم » فضربوا به المثل لكل مكان شريف. وثار ابراهيم زعموا انهُ نجا منها باذن الله. وصُحُف ابراهيم لحكمٍ قالوا ان الله انزلها عليه. وضيف ابراهيم وتحنة ابراهيم اشارة الى الله تعالى الذي تراءى لابراهيم على صورة ثلثة رجال (سفر التكوين ف ١٨) فاضافهم وقدَّم لهم خبزاً ولحماً. (اطلب القرآن سورة الحجر ٤٩): « ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً . . . . » = (اسماعيل) نسبوهُ الى الصدق فقالوا: « صدق اسماعيل » (م ض ٣٣ — ٣٤ وسورة مريم) = (يعقوب) قالوا « احزان يعقوب » مشيرين الى حزنهِ على يوسف أما اخبرهُ بنوهُ بموته (م ض ٤٤) = (يوسف الصدّيق) ضربوا المثل (م ض ٣٤ — ٣٨) برؤيا يوسف اشارةً الى الرؤيا الصادقة. وبذئب يوسف لتُهمة كاذبة. وبقميص يوسف المخرَّج بالدم. وبحُسن يوسف. وسبي يوسف السبع المخصبة ثمَّ السبع المجدبة. (راجع سفر التكوين ف ٣٧ وما يليهِ ثمَّ في القرآن سورة يوسف) = (موسى) ممَّا يذكرون لهُ (م ض ٣٨) عصاة موسى التي فلق بها بحر القلزم. وثار موسى التي تجلَّى لهُ فيها الله. ويد موسى التي لاحت عليها آثار البرص. وصُحُف موسى المنزلة عليهِ ومناجاتهُ لهُ (راجع سفر الخروج وبعض سور القرآن كالبقرة والاعراف) = (فرعون) نسبوا اليهِ الصَّلف والنخوة فقالوا: « نخوة فرعون » (م ض ٦٣) = (قارون) هو قورح احد الذين خُسفت بهم الارض لمعارضتهم موسى. وقد زعموا انهُ كان مثريًا فقالوا « كنوز قارون » (م ض ٦٤ والقرآن سورة القصص ٧٦) = (بنو اسرائيل) ضربوا بهم المثل في التيه فقالوا (م ١ : ١٣١): « أتيه من قوم موسى عم » = (أيوب) ضربوا بهِ المثل في الصبر « صبر ايوب » (م ض ٤١) = (داود) ذكر العرب في امثالهم مزامير داود ونغمته في تلاوتها وزعموا انهُ برع في نسج الدروع (م ض ٤٣ — ٤٤ واطلب فصولنا السابقة ص ٣٤٩) = (سليمان) ضربوا بهِ المثل في عزَّة الملك واتِّساعهِ فقالوا: « مُلك سليمان » ونسبوا الى خاتمهِ المعجزات فقالوا: « خاتم سُليمان » كما قالوا: « جنّ سليمان وسَير سليمان » لزعمهم بانَّ الله سخَّر لخدمته الجنّ والشياطين وانهُ كان يعلم منطق الطير والحشرات (راجع سورة النمل في القرآن) ويسير على بساط الريح (سورة سبأ في القرآن.

اطلب مض ٤٤—٤٦ وفصولنا السابقة ص ٣٥٠) = (الخُضْر) قيل انَّهُ الياس النبي فقالوا : « فلان خليفةُ الخضر » اي جوّاب في الآفاق (مض ٤٢) = (يونس) هو النبي يونان ضربوا المثل في الحوت الذي ابتلعهُ فقالوا : « أنهم من حوت يونس » (مض ٤٣) = (عُزَيْر) هو عَزْرا صاحب السفرَيْن الواردَين باسمهِ في الكتاب المقدَّس . ضربوا بحماره المثل فقالوا : « حمار عُزَيْر » لأنَّ الله على زعمهم أمدَّهُ بهِ في نكبتهِ (مض ٤٦) = (هامان) وزير الملك احشورش نسبوا اليهِ صَرْحاً فقالوا « صَرْح هامان » زعموا انَّهُ بناه فرعون (راجع القرآن سورة القصص ومض ٦٣) = (عيسى) اي السيّد المسيح ضربوا المثل في نطقهِ بالمهد (مض ٤٠) ثم في طبّهِ فقالوا : « طبّ عيسى » لكثرة معجزاتهِ في احياء الموتى وشفاء المرضى (مض ٤٧) وفي حمارهِ الذي ركبهُ يوم دخولهِ اورشليم في احد الثمانين (مض ٤٦) ونسبوهُ الى الله فقالوا « روح الله » و « كلمة الله » (مض ١٥) = (مريم العذراء) ضربوا المثل بعفَّتها فقالوا « عفَّة مريم » (مض ٤٤ وسورة آل عمران) وقالوا « تُحفة مريم » كما قالوا تحفة ابراهيم يريدون بها الرُّطب اي التمر (مض ٣٣) وكذلك قالوا « نخلة مريم » لأنَّهم زعموا انَّها كانت تنحني أمامها لتأكل من ثمرها (مض ٢٤٤) = (يحيى) وهو يوحنَّا المعمدان فقالوا « دم يحيى ابن زكريَّا » (مض ٤٧) لقتلهِ ظلماً على يد هيرودوس = (الحواريُّون) وهم رسل السيّد المسيح ضربوا المثل في صفاء قلوبهم (قصص الانبياء للثعلبي ص ٢٤٣) = ومن امثالهم النصرانيَّة (كعبة نجران) وهي كنيسة كان يحجّ اليها اهل اليمن لحسنها (مض ٤١٢) و (قسّ نجران) وهو قسّ بن ساعدة المضروب بهِ المثل في الخطابة (مض ١٨٥) و (أبدال اللُّكام) و (أبدال لبنان) وهم قوم من النسّاك الصالحين زهدوا في الدنيا وعبدوا الله في جبل اللُّكام وجبل لبنان (مض ١٨٦ — ١٨٧) و (نوم اصحاب الكهف) وهم شهداء النصرانيَّة في افسس قيل انهم أووا الى مغارة لينجوا من المغتصبين فباتوا فيها ثلثمئة سنين عديدة (مض ٦٥ وسورة الكهف في القرآن) و (كنيسة الرها) قالوا انها من عجائب الدنيا (مض ٤١٦) و (دير بِرْقل) كانوا يعالجون فيهِ المجانين (مض ٤١٩) (لهُ بقيَّة)

المقتطف والتوليد الذاتيّ

نبذة انتقادية للاب لويس شيخو اليسوعي

رأيتُ في مقالة حضرة الاب طوران عن المواليد الحيوانيَّة في ارضنا انَّ كل مساعي دروين وانصاره في اثبات التوليد الذاتي لم تجدهم نفعاً فرجعوا بخفَّي حنين. ويريدون بهذا التوليد انَّ الحيوان يتولَّد من ذاته منتقلاً من طور الجماد الى طور الاحياء دون زوع سابق. وكنَّا قبلاً ادرجنا مقالات أخرى لا تدع في الامر شبهةً. منها مقالة الاب هرنو في النابغة لويس پاستور واكتشافاته (المشرق ١٤ [١٩١١]: ٥١—٥٧) ومقالة الاديب منصور افندي سردار في اصل الحياة (المشرق ١٦ [١٩١٣]: ٥٣٨—٥٤٥) وكذلك نشرنا (ص ٣٠٠) ما اقرَّ به دروين عن ضعف مذهبه للاستاذ الفرنسوي المسيو فابر بعد اكتشافاته الغريبة عن تناسل الحيوانات

على انَّ انصار دروين لم يكتفوا بأن يؤكدوا دون برهان تحوُّل الجماد الى الحيّ في اطوار الارض الاولى لكنَّهم زعموا ايضاً ان هذا التحوُّل مستطاع في عهدنا بالعوامل الكيماويَّة. وكنَّا ختمنَّا بعد الاختبارات المتعدِّدة التي الحم بها العلامة پاستور انصار التوليد الذاتي انَّهم يذعنون الى الحق الظاهر لكنَّهم أبوا الَّا الانكار وغايتهم من ذلك كما هو واضح جحود وجود الخالق واستغناء العالم عنهُ في اطوار المخلوقات (١

وممَّن تشبَّثوا بهذا التعليم مجلَّة المقتطف التي نشرت في هذا العام عدَّة مقالات لتأييد زعمها منها مقالتان للدكتور نقولا حدَّاد ثمَّ عادت في عددها الاخير (حزيران ١٩١٤) ونقلت اختبارات الدكتور الانكليزيّ باستيان (M. Bastian) الذي ادَّعى انهُ توصَّل الى اكتشاف التوليد الذاتي بواسطة محلول طرطرات الامونياك (tartrate d'ammoniaque) فيقول انَّهُ جعل ذاك المحلول في زجاجات عقَّمها بعد احمائها الى درجات من الحرارة تُربي على المئة وسدَّها سدًّا محكماً وانَّهُ فتحها بعد ثمانية او تسعة

---

١) ولا حاجة الى تنبيه القرَّاء على ثبوت حقيقة وجود الخالق حتَّى ولو صحَّ المذهب الدرويني. لأنَّ التولُّد الذاتي اذا حدث انَّما يحدث بقوَّة الخالق علَّة كل المخلوقات

اشهر فوجد فيها جراثيم حيَّة وعفونيَّات ذات خلايا تنمو وتتناسل وقد صوَّرت مجلَّة المقتطف بعض هذه الجراثيم والخلايا الحيَّة التي وجدها الدكتور باستيان

فما قولنا أيجب على العلم ان يقرّ بغلطهِ او يكون الدكتور باستيان هو المخطئ في امتحاناتهِ. وها قد قام احد تلامذة پاستور وفنَّد مزاعم باستيان ألا وهو احد علماء باريس المسيو غستون بونيه (M. Gaston Bonnier) الذي قوَّض ذاك البناء الواهي الذي شيَّدهُ المسيو باستيان بمقالة نشرها في المجلَّة الاسبوعيَّة الباريسيَّة (REVUE HEBDOMADAIRE, 28 Mars 1914) وها نحن نختصر نتائج تفنيدهِ ونحيل المقتطف واصحابهُ الى تلك الردود

(اوَّلاً) كان المسيو باستيان قبل وفاة پاستور قام لمناقضتهِ وادَّعى انهُ امكنهُ توليد أحياء من موادَّ سائلة آليَّة فلمَّا قدم في باريس على پاستور اثبت لهُ ذاك النابغة انَّهُ لم يُحسن تجاربهُ وانَّ الوسائل الآليَّة التي اعتمدها لاختباراتهِ تحتوي على جراثيم حيَّة يظهر نشوُها بعد زمان فعاد المسيو باستيان خائباً الى لندن

(ثانياً) وليست امتحانات المسيو باستيان هذه المرَّة افضل من المرَّة السابقة وان غيَّر موادَّ امتحاناتهِ وعمد الى موادَّ معدنيَّة ليبني عليها براهينهُ فانَّ في ما كتبهُ لوصف طرائق اكتشافاتهِ يثبت ضعف رأيهِ لانَّ في كلامهِ تشوُّشاً ظاهراً

(ثالثاً) انَّ العلماء الذين استشهد بهم لاثبات زعمهِ وقال انَّهُ فتح زجاجاتهِ المعقَّمة امامهم فوجدوا مثلهُ فيها جراثيم حيَّة لم يحضروا تعقيمهُ للموادِّ المودعة في الزجاجات فلا بُدَّ ان تكون جراثيم حيَّة دخلت معها بنوع ما قبل التعقيم او بعدهُ

(رابعاً) ولا يفيد المسيو باستيان قولهُ انَّ تلك الجراثيم تولَّدت بعد اشهر عديدة من تحاول طرطرات الامونياك ما يدلُّ على انَّ تولُّدها يحتاج الى طول زمان لانَّهُ قد بيَّنت الاختبارات المتوالية الثابتة ان بعض الجراثيم تبقى في جمودها زمناً طويلاً قبل ان تنشأ وتنمو

(خامساً) انَّ الصور التي اخذ المسيو باستيان رسومها بعد فتح الزجاجات فنشرها لتأييد زعمهِ تدلُّ على مزجهِ مع طرطرات الامونياك ثلاثةً في المئة من سكَّر الغلوكوز وهذه المادَّة ليست معدنيَّة محضة ومن ثمَّ لا قوَّة لبراهينهِ

(سادساً) ثمَّ انَّ اصحاب دروين وانصاره وهم يزعمون انَّ اول ما تبدو الحياة تبدو غاية في البساطة على شبه خليَّة منفردة (monère) والحال الصور التي نشرها السيو باستيان تدلُّ على انَّ الاحياء الظاهرة في زجاجاته هي كاملة البنية كثيرة القوى متعدِّدة فيها مظاهر الحياة كجراثيم اخرى مثلها وتركيبها مع دقَّتها ليس باقلَّ اشتباكاً من الحيوانات الكبيرة

(سابعاً) واغرب من ذلك انَّ تلك الفطريات التي زعم انَّها تولَّدت ذاتيًّا فوسم صورها هي كلُّها من انواع آليَّة معروفة توجد في الطبيعة او تظهر في المختبرات الكيميويَّة وهي تتوالد بنوع قانوني . فاذا ظهرت تلك المولَّدات عند فتح الزجاجات التي زعم السيو باستيان حسن تعقيمها فذلك دليل واضح على نفوذها في زجاجاته من الخارج فتدخل على الاقلّ من عدم الزجاجات بعد تعقيمها

(ثامناً) واذ شعر السيو باستيان بانَّ مزاعمهُ لا يرضى بها العلماء الاثبات تراهُ في كتاباته يدافع ببراهين نظريَّة عن التوليد الذاتي كأنَّ امرًا مثل هذا تقوى على اثباته المذاهب الفلسفيَّة قبل بيان صحَّته فعلًا في عالم الكون والاختبارات الراهنة

(تاسعاً) ومن مزاعمهِ في كتاباته انَّ تكوين هذه الاحياء المزعومة شبيه بتكوُّن التبلورات في الطبيعة وكفى بذلك دليلًا على انهُ لا يُحسن التمييز العظيم الموجود بين الاجسام الآليَّة وغير الآليَّة والفرقُ بينهما كبعد السماء عن الارض ولعلهُ يجهل ما كتبهُ في تركيب الميكروبات وخواصها العجيبة الدكتوران غلِيرمند وبينو (MM. Guilliermond et Pénau)

فهذه الملحوظات وغيرها ايضاً لا يسمح لنا المجال بذكرها تُبيِّن انَّ المقتطف واصحابهُ قبضوا على الماء وضربوا على حديد بارد وانَّ اختبارات باستور باقية في منعتها . ومن ثمَّ ترى غلط الذين ينخدعون بمقالات المقتطف في الرأي الدروين المنافي لاقوال اثبت العلماء ويظنُّون انهم يترقَّون باتِّباعهم تعليمهُ كما قالت مجلَّة المستقبل آخرًا :

وقرَّاء المقتطف الآن ارقى من كثيرين ممَّن تخرَّجوا من مدارسنا العليا . فانَّك تجد كثيرين من خريجي مدرسة الحقوق الخديويَّة لا يزالون يعتقدون بأن ابانا آدم وامنا حواء ولا تجد واحدًا من قراء المقتطف لا يعرف او لا يقدر على اثبات تسلسلنا من الحيوان

زه زه ! فان كانت مجلَّة المقتطف لم تفدنا شيئاً آخر كان ضررُها اعظم من نفعها وعدمُها خيرًا من وجودها

مطبوعات شرقية جديدة

Palace and Mosque at Ukhaidir, A Study in early mohammadan Architecture. by GERTRUDE LOWTHIAN BELL. *Orford, at the Clarendon press,* 1914. *Gr. in-4 avec 2 cartes, 5 plans, 88 planches et 35 figures*

قصر الأخيضر ومسجده

انَّ بين النساء سيّدات يجدر بهنَّ ان يُعرَضْنَ كقدوة لرجال بما خصَّهن الله به من النشاط والحزم والثبات منهنَّ سيّدات انكليزيّات كآنّس سميث لويس (Lewis) التي نشرت آثار دير سينا وحنَّة بلنْت (Anna Blunt) الراحلة الى جزيرة العرب (المشرق ص ٣١٧) وقد اشتهرت مثلها في هذه السنين الاخيرة الآنسة « جرترودة أرشيان بال » حتى فاقت عليهما بعدد وطول اسفارها وبوفرة كتاباتها . وكأنها أنست البراريّ والبلاد المقفرة بعد عمرانها فتردَّد اليها وتفحص آثارها وترسم صورها وتدرس خواصّها وهندستها ونفوذ تمدُّن الامم المختلفة فيهـا . وكانت حضرتها قد اشتركت مع العلّامة سر وليم رمساي (Sir W. M. Ramsay) في درس كنائس الاناضول البوزنطيَّة فنشرا معاً سنة ١٩٠٩ كتاب « الف كنيسة وكنيسة » (The thousand a. one churches) ثمَّ نشرت كتاب « كنائس وادية طور عبدين » في ما بين النهرين . ثم كتاب « آمد » (Amida) الجليل المحتويات . وها هي اليوم اتحفتنا بكتاب خصَّتهُ باحد قصور الخلفاء العبّاسيين قصر الأخيضر الواقع على ضفَّة الفرات في جنوبيّ غربيّ كربلاء قريباً من قصر الماذرة المعروف بالخوَرنق في الحيرة . وهذا التأليف لا ينقصهُ شيءٌ من رونق العلم فلم تدع شيئاً مما يحسنهُ في اعين الاختصاصيين من خوارط ورسوم وتصاوير يبلغ مجموعها ١٣٠ عدداً . وليست هذه المرَّة الاولى ذكرت الآنسة قصر الأخيضر بل كتبت عنهُ في مجلّة الدروس اليونانيّة سنة ١٩٠٩ ثمَّ في كتابها « Amurath to Amurath » الّا انَّهـا قد افرغت في هذا التأليف الجديد جعبتها وهي قد كتبتهُ قبل علمهـا بما نشرهُ المسيو لويس متينيون في هذا الصدد سنة ١٩٠٩ ثمَّ البعثة الالمانيَّة الى ما بين النهرين سنة ١٩١٢ ومن ثمَّ تستميح من قرَّائها عذرًا لنشرها كتابها بعدهما . وبينما كان تأليفها تحت الطبع عادت الآنسة

الى الشرق ورحلت من دمشق الى الخاء حوران لدرس آثارها وواصلت رحلتها الى قلب جزيرة العرب الى الجنوب فزارت النفود ونجد حتى بلغت حائل واجتمعت بمشايخها وحَرَمِهم ثمَّ انتقلت الى العراق وعادت الينا في العشر الاوَّل من شهر أيار فرأيناها في بيروت بلْ الصحَّة والنشاط وفي نيَّتها أن تنشر قريباً ما أطلعت عليه من آثار حوران لا سيما المبنيَّة بعد الاسلام الاب ل . رنوقال

I Louis Peeters s. j : Spiritualité Ignatienne et Piété liturgique. *Tournai, Casterman.* 1914, pp. 31 = II P. Marie-Joseph du Sacré-Cœur c. p. : Faut-il délaisser les méthodes de Méditation pour retourner à l'ancienne oraison « de Liberté » liturgique, *Coriondе-Assesse* (*Belgique*), pp. 19 = III Pierre Suau s. j : La Compagnie de Jésus et la Liturgie (*Messager du Sacré-Cœur, Mai* 1914, pp. 300-311

التأمُّلات الروحيَّة والصلوات النفسيَّة

كلّ يعلم ان الصلاة في الكنيسة على صورتين منها عَلَنيَّة تتمّ برونق عظيم بالالحان والطقوس الاحتفاليَّة وتلاوة الصلوات القانونيَّة والابهة الظاهرة التي من شأنها ان ترفع القلوب الى الله وهي الطريقة الشائعة في بعض الرهبانيات كالبندكتيين وغيرهم . ومنها عقليَّة تتمّ بتأمُّل الحقائق الدينية واسرار حياة السيد المسيح . وهي الصلاة التي كان السيد المسيح مثالها في حياته ثم مارستها جميع النفوس الصالحة على منواله . ووضع لها القدّيسون قوانين منتظمة ليستفيد منها المتألهون والمتأملون دون شرود العقل وشتات الفكر . واخصُّ هذه القوانين تتضمَّنها رياضات القديس اغناطيوس مؤسّس الرهبانيَّة اليسوعيَّة التي قال عنها القديس فرنسيس دي سال انَّها ردَّت من النفوس اكثر مما تتضمَّن من الحروف . وقد اخذنا العجب ان احد الكتبة المحدثين المدعو دون فستوجيار (Don Festugière) لم يكتفِ بان يطرحَ الصلاة العَلَنيَّة والفرائض الطقسيَّة الاحتفالية بل زعم انَّ الصلاة العقليَّة على طريقة القديس اغناطيوس ضرَّت وما نفعت لتقييدها العقول بقيود حرجة . فكان لهذا الملام اسوأ وَقْع لدى كل من يعرف قدر رياضات القديس اغناطيوس ومنافعها الجمَّة لتقديس النفوس وممَّن تصدَّوا لتلك المزاعم الباطلة حضرة الآباء لويس پيترس اليسوعي ثمَّ ماري جوزف الكرملي وسوار اليسوعي وكأنهم فنَّدوا تلك الحجج الواهنة التي استند اليها دون فستوجيار وبيَّنوا عقلًا ونقلًا انَّ الصلاة العقليَّة لا تنافي

الصلاة الطقسيَّة بل هما شقيقتان توازر الواحدة الأخرى دون ان تعيقها . ولو شئنا المقابلة بينهما ظهر فضل الصلاة العقليَّة من بعض الوجوه . وعلى كل حال لا يجوز الازدراء بالصلاة العقليَّة مطلقاً وعلى الخصوص الرياضات الروحيَّة التي اشاعها القديس اغناطيوس واطرأها الاحبار الرومانيُّون منذ ظهورها الى عهد البابا بيوس العاشر المالك سعيداً وكلُّهم لسان واحد في منافعها الجمَّة لخلاص النفوس ل . ش

Der Diwân des Kais ibn al Hatim. Herausg., übersetzt, erklärt u. mit einer Einleitung versehen, von Thad. Kowalski, *Leipzig, Otto Harrassowitz*. 1914. XXXVI-97+٤٥

ديوان قيس ابن الخطيم

قيس ابن الخطيم شاعر مدني من بني الاوس قُتل قبل الهجرة بسنين قليلة وهو معدود بين الشعراء المجيدين الذين استند اهل اللغة الى اقوالهم . وقد بقي من ديوانه نسختان الواحدة مصونة في المكتبة الخديويَّة في مصر والاخرى في الاستانة وكان الاستاذ السماوي رودلف غاير اخذ صورتهما وفكَّر في نشر الديوان لكنَّهُ تراكمت عليه الاشغال فعهد بالامر الى احد تلامذته الدكتور تدأوس كوڤلسكي وسأَلهُ ما جمعهُ من الروايات والملحوظات فقام المذكور احسن قيام بالعمل وها هوذا قد اتحفنا بنسخة منهُ فظالعناهُ بتروٍّ فوجدناهُ جديرًا بكل ثناء . وقد قسم الكتاب ثلاثة اقسام ضمَّن القسم الاوَّل قصائد ابن الخطيم في ٢٥ قصيدة مضبوطة بالشكل الكامل وقد روى في ذيل الكتاب الاختلافات بين النسختين واردف تلك القصائد بستَّ عشرة قطعة من الشعر المنحول الى قيس . والقسم الثاني مقدِّمة طويلة بالالمانيَّة جمع فيها صاحبها كلَّ ما يُعرف من امر قيس بن الخطيم وترجمة حياته وشعره في ٣٦ صفحة . امَّا القسم الثالث فيحتوي ترجمة ديوان قيس الى الالمانيَّة . وكلّ قصيدة ملحقة بملحوظات دقيقة وروايات كتب الادباء المنشورة بالطبع في الشرق والغرب . فلا يسعنا الَّا الشكر لناشر هذا الديوان وتحريض كل ادباء الشرق على مطالعته ل . ش

البرهان الصريح في إثبات الوهية المسيح

بقلم الاب ل . شيخو اليسوعي . طبعة ثانية مصحَّحة

طُبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٤ (ص 8 — ١٠٢)

هذه طبعة ثانية من هذا الكتاب الذي باركهُ غبطة السيد مار الياس الحويك

بطريرك الطائفة المارونية الجليل . وقد صُحّحت هذه الطبعة وزيد عليها بعض صفحات قليلة فنوصي بها كل من يهمّهُ الاطلاع على حقيقة ايماننا في السيد المسيح وما لدينا من البراهين اللامعة الموجبة اعتقادنا ل . ر

Dix anciens Traités de Philologie Arabe, 2e *édition*, 1914, p. 176

البلغة في شذور اللغة

وهي عشر مقالات لغويّة لائمة كتبة العرب

نشرها الدكتور اوغست هفنر والاب ل . شيخو اليسوعي

في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩١٤ ص ١٨٠

هذه ايضاً طبعة ثانية لمجموع لغويّ عظيم رواجهُ بين محبّي الآثار العربيّة فاضطُررنا الى اعادة طبعهِ . وكفى تنويهاً بمحاسنهِ ذكر اسماء الائمة مؤلّفيهِ وهم الاصمعي وابو زيد وابي عبيد وابن قتيبة وغيرهم والمجموع مضبوط بالشكل الكامل وكل مقالة منهُ مصدّرة بمقدّمة وملحقة بالفهارس على طريقة حروف المعجم فلا نشكّ ان اقبال الادباء على طبعتهِ الاولى يضمن رواج هذه الطبعة الثانية ل . ش

دروس الجغرافيا . القسم الثاني

تأليف فوزي افندي العظم

طُبع بنفقة وعناية المطبعة الاهليّة بمطبعة جمال ببيروت ١٩١٤ ص ١٢٨

هو القسم الثاني لكتاب سبق لنا الكلام فيهِ (المشرق ١٥ [١٩١٢] : ٩٥٥) وضعهُ صاحبهُ الاديب على طريقة موافقة لمكاتب الاحداث وقسمهُ دروساً الحقها بتمارين وزيّن الكتاب ببعض التصاوير تقريباً لفهم محتوياته . وكان اصاب المرمى لو امكنهُ ان يجوّزهُ بخوارط تساعد الطلبة على معرفة وضع البلاد وسعة الممالك وهيئاتها وان شاء الله يفعل في طبعة اخرى ل . ش

المثال الصحيح لكاهن المسيح

في حياة الطوباوي يوحنّا ماري فياناي خوري ارس

بقلم الاب يوسف عوان المرسل اللازاري (مطبعة النهضة ١٩١٤ ص ٢٦٢)

انّ ما نالهُ من الشهرة في اواسط القرن الماضي الخوري يوحنّا فياناي بقداسة حياتهِ وكثرة معجزاتهِ جعلهُ قدوةً لكلّ الكهنة وخصوصاً لخدمة الرعايا . وقد

شاءت اعمالهُ الاثيرة في كلّ اقطار العالم الكاثوليكي لكنّ بلادنا كانت في حاجة الى ترجمة حياته في لغتنا العربيّة فها هوذا حضرة الاب يوسف عاوان قد سدّ هذه الثلمة فأتحفنا بكتاب ممتع طيّب المعاني رشيق الالفاظ نتمنّى ان تتداولهُ ايدي الجمهور عمومًا والكهنة خصوصاً فانّ فيهِ من الاعمال الصالحة والتعاليم التقويّة ما يرشدهم الى ذروة الكمال المسيحي والكهنوتي ل. ش

تأبين الطيب الذكر والاثر المطران يوسف نجم النائب البطريركي

بقلم الخوري يوسف العشيتي

بالمطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين في بيروت (١٩١٤ ص ١٦)

رُزئت الطائفة المارونيّة في هذا العام بأحد احبارها الاجلاء السيّد الفضائل المطران يوسف نجم النائب البطريركي فعظم المصاب بفقده وترطّبت الالسنة بذكر فضائله ومآثره المشكورة وهذا التأبين من اجود ما قيل في الفقيد العظيم اذ بيّن فيهِ مؤلّفهُ المحقق ما كان عليهِ سيادتهُ من سموّ الفضل في كلّ اطوار حياتهِ منذ حداثة سنّهِ الى عهد نيابتهِ البطريركيّة ممثّلاً في شخصهِ الكريم فضائل الكهنوت والاسقفيّة بكل مجاليها حتى خصّ بهِ آية الكتاب (أيوب ١ : ١ — ٢) : وكان هذا الرجل سليماً مستقيماً يتّقي الله ويجانب الشرّ واعظم ابناء المشرق جميعاً » ل. ش

قاموس القضاء العثماني

الجزء الرابع لمؤلفهِ سليمان مصوبع الحامي

طبع في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٩١٤ (ص ٢٦١ — ٤٨٠)

هذا الجزء يتناول بقيّة مواد حرف الخاء ومن اهمّ ما ورد فيهِ قوانين المحاكم وكلّ ما يتعلّق بها في هيئاتها المختلفة من صلح وتجارة وحقوق وجنايات مع قوانين المحاكم والمحكوم عليهِ وصور الحكم . فنكرّر شكرنا للمؤلف ونحضّ ارباب الحقوق على الانتفاع بمضامينهِ ل. ش

LE CAZA DU METTEN (Notice et Carte)

لائحة قضاء المتن

احسنت شركة مصايف لبنان بوضعها هذه اللائحة الصغيرة لافادة المصطافين الذين يحبّون ان يقضوا فصل الصيف في لبنان فتفيدهم عن خواصّ قضاء المتن

ومميزاته الموافقة للاصطياف. وهناك خارطة كبيرة بالوان جميلة اتقنت مطبعتنا طبعها ويا ليت بقيّة انحاء لبنان تُنشر لها لوائح وخارطات كقضاء المتن ل. ش

شذرات

— الجناح المحطوم — اشفع جناب مراسلنا « عصام » قصيدتهُ السابقة بهذه القصيدة الفاخرة من « اوراقه المطويّة » توصف سقوط الابوين الاوّلين ورجاءها بالمسيح الفادي

« عقابكما موتٌ اذا ما أكلتما . . . » وما أكلا حتى همى غضبُ السما
وزلّا الى ارض الشقا وتعاتبا يصيح بها حوّا! وتشزر آدما
تكشّف سرُّ الموت واطّلعا على حقيقته فاستعظما وتألّما . . .
لقد هبط النسران من شاهق سما ولا بِدْعَ ان الجانحَيْن تحطّما
أغرسُ جنان الخلد يسقيه ماؤها ويستنشق الأهواء عطرًا منسّما
كصفصافةٍ في جانب الغور فذّةٍ تناهت جمالًا فاستزادت تعظّما
وفاتنةُ الازهار ينعشها الندى ويلبسها ثوبَ الخلود منعّما
يُلذّانِ عيشًا في الخلود مؤبّدًا ويبتغيانِ الموتَ شأنًا محرّما
ايا ابوينا الاوّلين لأنتما تنازلتما عن جنّة الخلد أنتما
أشاقكما عيش الفناء معذّبًا فأبغضتما عيش البقاء مكرّما
أملّتكما دار الفناء رحيبةً فأحببتما دار الشقاء تئيما

*

ايا . وقفًا في جنّة الخُلد راعني تمثّلهُ واستطار العينَ عندما
أربُّ البرايا من علٍ متنازلٌ يخاطبُ عبدًا يستحقُّ جهنما
يسائلهُ ما الأمر والعبد مُطرقٌ ألا يسأل العفوَ الجميل فيُرحما
. . . تذكّرْ قضاة الارض تهفو اليهم كبودُ الضحايا أيّما ومُيتّما
وتسألهم عطفًا وعدلًا بحقّ من دعاهم لانصاف البريء تكرّما
وأجلسهم فوق الكراسي وثيرةً ومتّعهم بالرغد عيشًا منعّما
فصمّوا سماعًا عن نداهم وانكروا عليهم شكاياهم وداسوا التظلّما
ولم يُلفَ فيهم راحمٌ مشفقٌ على المساكين يلقاهم ولو متبتّما

ومميزاته الموافقة للاصطياف. وهناك خارطة كبيرة بالوان جميلة اتقنت مطبعتنا طبعها ويا ليت بقيّة انحاء لبنان تُنشر لها لوائح وخارطات كقضاء المتن ل. ش

شذرات

— الجناح المحطوم — اشفع جناب مراسلنا « عصام » قصيدتهُ السابقة بهذه القصيدة الفاخرة من « اوراقه المطويّة » توصف سقوط الابوين الاوّلين ورجاءها بالمسيح الفادي

« عقابكما موتٌ اذا ما أكلتما . . . » وما أكلا حتى همى غضبُ السما
وزلّا الى ارض الشقا وتعاتبا يصيح بها حوّا! وتشزر آدما
تكشّف سرُّ الموت واطّلعا على حقيقته فاستعظما وتألّما . . .
لقد هبط النسران من شاهق سما ولا بِدْعَ ان الجانحَيْن تحطّما
أغرسُ جنان الخلد يسقيه ماؤها ويستنشق الأهواء عطرًا منسّما
كصفصافةٍ في جانب الغور فذّةٍ تناهت جمالًا فاستزادت تعظّما
وفاتنةُ الازهار ينعشها الندى ويلبسها ثوبَ الخلود منعّما
يُلذّانِ عيشًا في الخلود مؤبّدًا ويبتغيانِ الموتَ شأنًا محرّما
ايا ابوينا الاوّلين لأنتما تنازلتما عن جنّة الخلد أنتما
أشاقكما عيش الفناء معذّبًا فأبغضتما عيش البقاء مكرّما
أملّتكما دار الفناء رحيبةً فأحببتما دار الشقاء تئيما

*

ايا . وقفًا في جنّة الخُلد راعني تمثّلهُ واستطار العينَ عندما
أربُّ البرايا من علٍ متنازلٌ يخاطبُ عبدًا يستحقُّ جهنما
يسائلهُ ما الأمر والعبد مُطرقٌ ألا يسأل العفوَ الجميل فيُرحما
. . . تذكّرْ قضاة الارض تهفو اليهم كبودُ الضحايا أيّما ومُيتّما
وتسألهم عطفًا وعدلًا بحقّ من دعاهم لانصاف البريء تكرّما
وأجلسهم فوق الكراسي وثيرةً ومتّعهم بالرغد عيشًا منعّما
فصمّوا سماعًا عن نداهم وانكروا عليهم شكاياهم وداسوا التظلّما
ولم يُلفَ فيهم راحمٌ مشفقٌ على المساكين يلقاهم ولو متبتّما

أما ذكروا للرب عدلاً بعبده وتابوا إليه خشية السخط قبلما...
ايا مُنزلاً ذاك العقابَ بآدمٍ تعمَّدْ بنيه كلهم باتَ آدما

*

تمثلتُ في الفردوس آدم خاشعاً وحواء في ذعرٍ وربي معظّما
أطلَّ ونادى أينَ آدمُ فاختفى وحاولَ عذرًا منقذًا فتلعثما
— أخالفَ مخلوقي الوصيةَ انهُ كنودٌ وانّي سوف اقتصُّ منهما
أآدمُ مُتْ موتاً وحوّا — رقيقةٌ لارجاءها — حكمٌ يعمُّ بنيكما..
فباتا على ما يدرك الفكرُ بعضهُ ويعجز عن ايضاحهِ مَن تكلّما
وما هي إلّا لحظةٌ ثم أجفلا وقد خطر الموتُ الزؤام بحسّما
عدوٌ هو السيف المجرَّد نقمةً رهيب كقاضي الظلم يقسو عليهما
خيالٌ مخيفٌ قدَّ من زور مظلمٍ جُثامٌ ثقيلٌ حلَّ ليلًا فأبرما
— «ترى مايكون الموت» قالاه عندما ترآى ولم ينفعهما القولُ عندما...
ومذ أدركا منهُ طلائع بؤسهِ افاقا وما أغنت لعلَّ وليتما
وكم أنَّ كلٌ منهما متحسّرًا يخاطبُ ابليس العدوَّ المذمَّما
بايّتُنا ابليسُ بالموت مرّةً ألا لا تكن بالله اقسى وأظلما
خاتلنا خليلَي ربنا فخدعتنا وابدلتنا بالخلد موتاً محتما
وقد كان عصيانٌ وكانت عداوةٌ واصبحت بالأعقاب طرًّا محكما
واسكنتنا بعد الجنان اريضةً ديارَ الشقا سجناً من البؤس مظلما
أدنيا الفنا يا سجنُ ابليس هازئٌ ونحنُ نقاسي من بلاياه علقما
وحرًّا وبردًا واضطراباً ولوعةً ايا ربِّ لِمْ أوجدت في البدء اوقما
فقد لبست ثوب الخداع فغرَّرتْ بحواء واقتادت فؤادي مرغما
تخادعها عفوًا ولا شأن لي ولا ... وتصطادني حوا ولم أكُ مغرما
فلا كان تفاحٌ شهيٌ محببٌ حلا منظرًا لكنّهُ مرّ مطعما
ولا كان مخلوقٌ يخادع كاذباً ليُخلِدَ جمرًا في الحشى متضرّما
ارادت لحواء الحياة وانما أراها اتاتها الجوى والتألما
وضعفاً ورقًّا للذي بات رأسها فواهاً لمن خلّى الاله وأجرما

خطئتُ وما من راحم آسفٍ معي خطئت ولا غفرانَ فالذنب قد طمى
خطئت ولا يمحو عذابي سوى الذي قضى بعقابي عادلًا متعظما
خطئت وللابناء بعدي تذكرٌ يلومونني لا يعرفون الترحما
خطئت وكم قاسيت ذلًا اشدَّ ما يقاسونهُ والطردَ ذقتُ امرَّ ما . . .
اذرّيتي نلنا جميعاً عقابنا كفى تحقروني عاتبين ولؤمـا
فابليس يكفيهِ اسمه وعذابهُ وانتم رثوا — لا تخسروا — الخلد مغنما
ويرحمني الرب العظيم بعداله ورحمتهِ لم يعرف الحقد مثلما . .
الا طوّبوا تلك الخطيئة إنكم بهـا قد رأيتم «ربكم متجسما»

— ركب الهواء — قصيدة للاديب عبد الله كنانجي ضمّنها رثاء الطيارين الثانيين الذين رُزئت بهم الدولة العليّة في انحاء الشام وبادا ثم استطرد الى الثناء على من جاء بعدهم وعاد مظفّرًا يادراك الغاية

تخذوا الفضاء مراكباً وسُواما وبنوا على متن النجوم مقاما
دفعتْهمُ الآمال فانقادوا لما متقلّدين من النهى صمصاما
اكرم «بفتحي» غازياً جيش الفضا والنصرُ ينشر فوقهُ اعلاما
لمّا بدا في جوّ بيروت هفتْ منّا لمرآهُ القلوبُ هياما
لمّا رأيناهُ يطارد في الهوا نسرَ الفضاء ولا يطيش سهاما
طمح الفؤادُ مآملًا بخلنا بها من شعبنا مَن يرفع الاقواما
لكن أبى الدهرُ الخؤونُ يُحقّها فسقاهُ من ماء المنيّة جاما
فخبا الرجاء به وغاب جلالهُ وبدا «بنوري» للعيون تمامًا
قد طار في سفح الفضاء محلّقاً فسبى القلوب محبّةً ووئاما
تخذ الشجاعة خدنهُ وأليفهُ وربيبهُ «حقي» بها قد هاما
سبحا على طيّارة بفضائنا سَمَرًا بها الاجبال والآكاما
فكبا «بنوري» ما رجوناوضنّهُ لفؤاده بحرٌ بغى الضرغاما
عظُم المصابُ وليس بدعٌ أنهم ماتوا على حُبّ العلاء عظاما
لهفي عليهم والحمامُ سواجعٌ وعلى سناء شبابهم لو داما
لهفي عليهم والنجوم سوافرٌ يَرْوين من دمع الغمام أواما

وكنوا لدهر خائن وصروفه فتى رأينا الزمان ذماما
لا تجزعنَّ بني الوطن اننا قومٌ نُذلُّ بعزمنا القداما
كنا على بأس يُضاهي ركنُهُ رضوى لهُ كان السوى خُدَّاما
والآن لا نحتاج غير ارادةٍ فالجدُّ اجدرُ أن يُنيل مراما
ان مات في سُبل الوطن واحدٌ منّا تلاهُ اربعون هماما
فتآلفوا فالرقيُّ يُخدَنُ تعاضُدٍ وحذارِ أن تتشعَّبوا أقساما
فإلامَ تهوونَ التذلُّل والونى وإلامَ تهوونَ القُعود غراما
حتَّام بعضُ منافعٍ شخصيَّةٍ شُغِفت قلوبكمُ بها حتَّاما
هذا «كمالُ» اليوم جاء معزِّيًا من بات يجترعُ النواحَ مُدامًا
بسمت لهُ اذبانَ مصرٌ وكم رأيـــنا دمعها قد سال قبل سجاما
والشامُ قد طربت وسابقُ دمعها اضحى بأسلاك الهناء نظاما
وبلابل القطرين ناحت انها سحرًا فهزَّت قبل مصر الشاما
وسرى «لشوقي» في البلاد قصيدة فتنت عقولًا شاقها مَنْ نامًا
عشقت به من مصر اكرم شاعر فاهاه «حافظ» في القريض مقامًا
لا زال مصرٌ للشآم مواخيًا والشعرُ ينشر في البلاد سلامًا
ويضمُّ افئدة الشعوب بأنه فيها نفوز ونُحرز الإقدامًا

كتابات يونانيَّة في الكردستان العجمي جاء في العام الماضي الى لندن الدكتور العجمي سعيد خان فقدَّم لاساتذة كليَّة كمبردج كتابتين يونانيتين وُجدتا في اورومان في الكردستان العجمي تاريخ الواحدة سنة ٢٢ للمسيح والاخرى سنة ٨٨ وكلتاهما مكتوبة على رقّ مضمونهما صكوك مبايعات بين وطنيّين من العجم . وهناك اسماء الباعة والمشترين والشهود وكأنها اعلام عجميَّة فاستدلُّوا بذلك الى انتشار اللغة اليونانيَّة في ذلك العهد حتى في تلك الجهات القاصية

متحف اثري في طرابلس الغرب ما كادت قدم الايطاليين ترسخ في طرابلس الغرب حتى اخذوا يهتمُّون في جمع آثارها فأنشأوا في حاضرة طرابلس متحفًا نظَّموا فيهِ ما اكتشفوهُ من الآثار اليونانيَّة والرومانيَّة والعربيَّة. وهذا المتحف الموقَّت جُعل الان في دار الجندرمة التركيَّة ريثما تُشيَّد لهُ ابنيةٌ خاصَّة

وناظر المتحف هو الاستاذ اوريجما (Auriggemma) عهدت اليه الوزارة الايطالية العناية بتلك المآثر

❊ نفقات الدولة الفرنسوية على متاحفها سنة ١٩١٢ ❊ افادت جريدة باريس الرسمية في تاريخ ٢٦ ايلول انّ الدولة الفرنسوية انفقت في العام ١٩١٢ في اقتناء الآثار القديمة ١,٦٣٩,٧٨١ فرنكاً

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد كهنة الكلدان أيُعرف في لبنان قبر احد اساقفة الكلدان الذي كان عائداً من رومية فتوفي عند عودته سنة ١٥٨٣ واسم المطران المذكور ايليا هرمز حبيب اسر

قبر المطران ايليا هرمز حبيب اسر

ج سألنا بعض اصحابنا اللبنانيين عن ذلك فلم يمكنهم ان يفيدونا من الامر شيئاً ولعلّ احد قرّائنا قد اطّلع على ذلك فنتقبّل افادته بالشكر

س وسأل مستفيد هل للغة الحميرية جموع مكسّرة وحركات اعرابيّة كاللغة العربيّة

اللغة الحميرية وجموعها المكسّرة وحركاتها الاعرابيّة

ج لها عدّة جموع مكسّرة وحركات اعرابيّة تدلّ كما في العربيّة على حالات الرفع والنصب والجرّ (D^r F. Hommel : *Süd-Arabische Chrestomathie* اطلب)

س سأل الأديب ن. ح من انطلياس ما رأينا في التنوم الصناعي وهل يجوز استعمالهُ في الطبّ ولغايات أخرى مثل تقرير بعض الجُناة واكتشاف بعض الاسرار

التنوم الصناعي والادب

ج قد سبق حضرة الاب لويس رتزفال وكتب في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ١١٣١—١١٣٨) مقالةً مطوّلة في تعريف التنوم الصناعي وجواز استعمالهِ في بعض الاحوال لعلاج المرضى بشروط عدّدها هناك وعلى خلاف ذلك بيّن ما ينجم عن استعمالهِ من الاخطار للنفس والجسم معاً ان لم تُراعَ فيهِ الشروط اللازمة . ومن ثمّ لا نصوّب استعمالهُ في المحاكم ولم نسمع انّ القضاة في الدول المنظّمة اتّخذوا التنوم حتى الآن كواسطة لتقرير الجُناة لعلمهم باضرارهِ . ومن المحتمل انّ المتّهم يقرّ بجناية لم يرتكبها وذلك بقوّة الاستهواء

ل. ش

❊ اصلاح غلط ❊ وقع في خلف الصفحة ٤٩٢ تشويش في الاعداد والصواب ان عدد رهبان ايالة ايطالية ١٦١٣ وايالة اسبانية ٣٨٩٧ وايالة جرمانية ٤٣١١